دوستويفسكي

زوجة رجل آخر وزوج تحت السّرير




دوستويفسكي

زوجة رجل آخر وزوج تحت السرير

وتليها

رواية في تسع رسائل

الكتاب

زوجة رجل آخر وزوج تحت السرير

وتليها: رواية في تسع رسائل

تأليف

دوستويفسكي

ترجمة

إدريس الملياني

الطبعة

الأولى، 2016

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-827-5

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 750507 01 ـ 352826 01

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

دوستويفسكي

زوجة رجل آخر وزوج تحت السرير

(مغامرة غير عادية)

وتليها

رواية في تسع رسائل

ترجمهما عن الروسية

إدريس الملياني



زوجة رجل آخر
وزوج تحت السرير

الفصل الأول

- «اسمح لي، يا سيدي، هل أستطيع أن أسألك. . . ؟».

قفز الرجل عابر السبيل، وهو يحدق بغير قليل من الخوف في الرجل الذي يرتدي معطفاً من فراء الراكون، حين دنا منه وفاتحه بالسؤال على نحو مفاجئ، بعد الساعة الثامنة مساء، في وسط الشارع. ونحن نعلم أنه إذا بدأ رجل من بطرسبورغ الكلام فجأة، في الشارع، مع رجل آخر، لا يعرفه تماماً، فإن هذا الأخير لا بد أن يفزع بالتأكيد.

وهكذا إذن قفز الرجل عابر السبيل خائفاً قليلاً.

وتابع الرجل الذي يرتدي معطف فرو الراكون[1] كلامه قائلاً:

- «اسمح لي إذا أزعجتك بهذا الشكل، ولكنني. . . أنا، حقاً، لا أعرف. . . سوف تغفر لي، دون شك، إنني، كما ترى، مضطرب الذهن قليلاً. . .».

وهنا فقط، لاحظ الرجل الشاب الذي يرتدي معطف «بيكيشا»[2] المُفَرّى الطويل أن الرجل الذي يرتدي معطف فرو الراكون كان، بالفعل، شديد الاضطراب.

كان وجهه المتشنج المهموم في غاية الشحوب، وصوته مرتعش النبرات، وكانت أفكاره تغدو مشوشة بشكل واضح، وكلماته المتقطعة لا تصعد من حلقه إلا بصعوبة، وكان واضحاً أنه تجشم عناء كبيراً من أجل أن يتقدم بهذا الطلب المتواضع جداً إلى شخص ربما كان أدنى منه طبقة ورتبة، ولكن كان لا بد له من أن يتوجه إلى أي كان بهذا الطلب.

ثم إن هذا الطلب نفسه كان يبدو، على كل حال، غير لائق، وغير جدّي، وغريباً، من رجل يرتدي معطفاً فاخراً من الفراء، و«فْراكاً»[3] جميلاً جديراً بالاحترام، بلونه الأخضر القاتم[4] البهي، والموشى بعدد كبير من الأوسمة الرفيعة والهامة للغاية.

كان واضحاً أن كل ذلك كان يضايق حتى الرجل الذي يرتدي معطف فرو الراكون، بحيث إن هذا الرجل المحبط الروح، لم يستطع أن يتمالك نفسه فقرر في نهاية المطاف أن يسيطر على اضطرابه وأن ينهي بأدب هذا المشهد الذي كان هو نفسه السبب فيه.

- «أرجوك اعذرني، أنا على غير عادتي، لكنك، حقاً، لا تعرفني... معذرة على الإزعاج... لقد غيرت رأيي».

وهنا رفع قبعته محيياً بأدب وركض بعيداً.

قال له الرجل الشاب:

- «ولكن اسمح لي، من فضلك».

إلا أن الرجل المرتدي معطف فرو الراكون، كان قد اختفى

في الظلام، تاركاً ذلك الرجل الشاب المرتدي معطف «البيكيشا» المُفرّى الطويل مذهولاً.

قال الرجل الشاب ذو «البيكيشا» في نفسه: «يا له من نموذج غريب الأطوار!». ثم، بعد أن ذهل بما فيه الكفاية، وخرج من ذهوله أخيراً، عاد إلى التفكير فيما يخصه هو بالذات، وأخذ يسير ذاهباً آيباً على الرصيف، مراقباً بانتباه باب عمارة من عدة طوابق. كان الضباب قد بدأ يخيّم على الشارع. فأحس الشاب ببعض الارتياح لأن نزهته ذاهباً آيباً لن تثير الانتباه كثيراً في الضباب، وعلى أية حال، فإن الوحيد الذي كان يستطيع أن ينتبه إليه هو حوذي، ظلّ واقفاً بيأس هناك طوال النهار.

- «معذرة!».

قفز الرجل الشاب عابر السبيل من جديد: إذ انتصب أمامه مرة أخرى نفس السيد المرتدي معطف فرو الراكون.

وتابع هذا الأخير كلامه قائلاً:

- «سامحني إذا عدت إليك من جديد... ولكنك، حقاً، رجل نبيل! لا تنظر إلي كشخص رفيع المقام، بالمعنى الاجتماعي، أنا، على أية حال، أفقد رشدي، ولكن انظر، إنسانياً... إن أمامك، يا سيدي، رجلاً في حاجة إلى أن يتوجه إليك بطلب متواضع جداً...

- إذا كنت أستطيع... ماذا تريد؟».

قال السيد الغامض، مكشراً، ضاحكاً بشكل هستيري، وممتقع اللون:

- «لعلك كنت تتصور أنني سأطلب منك مالاً!

- أرجوك. . .

- كلا، أرى أنني أزعجك! سامحني، أنا لا أستطيع أن أحتمل نفسي، اعتبرني مضطرب المزاج، إلى حدّ الجنون تقريباً، ولكن لا تستنتج شيئاً. . .».

أجابه الرجل الشاب وهو يومئ إليه برأسه مشجعاً ونافد الصبر:

- «اذهب إلى لبِّ الموضوع، تكلم في جوهر الأمر!

- آه! هكذا، الآن! أنت، الرجل الشاب، تذكرني بالأمر كما لو كنت صبياً مقصراً! أنا بالتأكيد خرفت! كيف أبدو لك الآن في هواني، أجبني بصراحة؟».

احمر وجه الرجل الشاب ولزم الصمت.

وأخيراً قرر السيد المرتدي معطف فرو الراكون أن يعلنها صراحة:

- «اسمح لي أن أسألك دون لف ولا دوران: ألم ترَ سيدة؟ هذا هو كل طلبي!

- سيدة؟

- نعم، من فضلك، سيدة.

- نعم رأيت. . . ولكنهن، أعترف لك، كنّ سيدات عابرات كثيرات».

أجاب السيد الغامض بابتسامة مرة:

- «تماماً، إنني تائه، ليس هذا ما كنت أودّ أن أسألك عنه، اسمح لي، كنت أريد أن أقول، ألم تشاهد سيدة ترتدي معطفاً

من فرو الثعلب، تعتمر قبعة من المخمل القاتم اللون وبخمار أسود؟

- لا، لم أشاهد مثل هذه... كلا، لم ألاحظ، فيما أظن.

- آه! وفي هذه الحالة، معذرة!».

أراد الرجل الشاب أن يسأل عن شيء، ولكن السيد المرتدي معطف الراكون، كان قد اختفى من جديد، تاركاً، مرة أخرى، محاوره الصبور في غاية الذهول.

قال الرجل الشاب ذو «البيكيشا» في نفسه وهو متعكر المزاج بشكل واضح:

- «ليذهب إلى الجحيم!».

وغطى وجهه بياقة قبعته القندسية[5] الفرو، وهو في غاية القلق، واستأنف سيره ذاهباً آيباً، بحذر شديد، أمام مدخل المنزل العديد الطوابق. كان محتدماً غيظاً.

قال في نفسه متسائلاً:

- «ماذا تنتظر لتخرج؟ قريباً ستصبح الساعة الثامنة! على البرج تدق الساعة الثامنة.

- آه! ليأخذك الشيطان، أخيراً!

- لا تؤاخذني، يا سيدي!».

قال عابر السبيل مقطباً ومعتذراً معاً.

- «اعذرني، أنت أيضاً، إذا كنت هكذا... ولكنك اقتربت متدحرجاً بين ساقي فجأة، بحيث أفزعتني تماماً.

- ها أنا عدت إليك من جديد، يا سيدي. طبعاً، لا بد أن أبدو لك مزعجاً وغريباً، أليس كذلك؟

- من فضلك، دعني من الترهات، اشرح بسرعة ما تريد أن تقول. ما زلت لا أعرف ما هي رغبتك؟

- هل أنت مستعجل؟ أترى، يا سيدي، سأحكي لك كل شيء بصدق وصراحة، وبلا كلام زائد. ما العمل؟ أحياناً تجمع الظروف أناساً مختلفي الطباع تماماً... ولكن، أرى أنك قليل الصبر، أيها الرجل الشاب... وهكذا، يا سيدي... علي أية حال، لا أدري، كيف أقول: إنني أبحث عن سيدة، أليس كذلك (قررت الآن أن أشرح لك كل شيء) لا بد لي أن أعرف بالضبط إلى أين ذهبت هذه السيدة؟ من هي، أظن أنك لست في حاجة إلى أن تعرف اسمها، أيها الرجل الشاب.

- طيب، حسناً، تابع!

- تابع! لاحظ بأية لهجة تخاطبني! اسمح لي، ربما آذيتك، حين ناديتك بالرجل الشاب، ولكن ليس لدي أي شيء... وبكلمة واحدة، إذا طاب لك أن تقدم لي خدمة عظيمة، وهكذا إذن. هي سيدة، أي أريد أن أقول إنها امرأة شريفة، من عائلة ممتازة، هم أناس من معارفي... لقد كلفت... أنا نفسي، علي أن أقول لك، ليست لدي أسرة.

- طيب، وإذن؟

- ضع نفسك في مكاني، أيها الرجل الشاب (آه، من جديد؟ سامحني، أنا دائماً أناديك بالرجل الشاب). كل ثانية

ثمينة... تصور، هذه السيدة... ولكن، ألا تستطيع أن تقول لي من يسكن في هذا المنزل؟

- ولكن... هنا سكان كثيرون».

أجاب السيد المرتدي معطف فرو الراكون، وأطلق ضحكة خفيفة لخَلاص اللياقة:

- «نعم. صحيح، أنت على حقّ تماماً، أحس بأنني مشوش قليلاً... ولكن لماذا هذه النبرة في لهجتك؟ أنت ترى أنني أعترف لك صادقاً بأنني مرتبك قليلاً، ولو كنت رجلاً متكبراً، لرأيت لدرجة كافية ما أنا فيه من ذلٍّ وهوان... أقول إذن إنها سيدة نبيلة، حسنة الخلق، أي ذات محتوى خفيف الوزن، معذرة، إنني لا أعرف ما أقول، كأنني أتكلم عما لا أدري من الأدب، نعم، هكذا، لقد اكتشف أن بول دو كوك ذو محتوى خفيف، ومن بول دو كوك بالذات جاء كل بلاء، يا سيدي، هكذا! أليس كذلك؟».

ألقى الرجل الشاب نظرة مليئة شفقة على السيد المرتدي معطف فرو الراكون، الذي بدا له تائهاً زائغاً تماماً نهائياً، كان صامتاً، ينظر إليه بابتسامة سخيفة، وبيد مرتعشة، ودون سبب ظاهر، أمسكه من ثنية معطفه الطويل. وسأل الرجل الشاب وهو يتراجع خطوة:

- «تسأل من يسكن هنا؟

- نعم. ناس كثيرون، كما قلت لي».

قال الرجل الشاب بصوت خافت وحتى بشيء من الرحمة:

- «هنا... أعرف أن هنا تسكن أيضاً صوفيا أوستافييفنا.

- آه، أرأيت، أرأيت! أنت تعرف شيئاً! أيها الرجل الشاب!

- أؤكد لك. كلا، لا أعرف شيئاً... فكرت فقط، وفق حالتك المشوشة.

- علمت الآن عن طريق الطباخة أنها تأتي إلى هنا، ولكنك لم تفكر في تلك التي أقصد... أعني ليست صوفيا أوستافييفنا... فهي لا تعرفها...

- كلا؟ وإذن، معذرة...».

أجاب الرجل الغريب بسخرية مرة:

- «أرى أن كل هذا لا يهمك، أيها الرجل الشاب».

تمتم الرجل الشاب مرتبكاً:

- «اسمع، في الواقع، لا أعرف أسباب حالتك، لكن امرأة تخونك، دون شك، هلّا تقول لي هذا بصراحة؟».

ابتسم الرجل الشاب مستحسناً وجسده كله يعبّر عن رغبة سخية في القيام بنصف انحناءة احترام، ثم أضاف:

- «على الأقل، إننا نتفاهم.

- قضيت علي! ولكن، اعترف لك بصراحة، الأمر كذلك بالضبط... ولكن من ذا الذي لا يحدث له ذلك! إن تعاطفك يؤثر في نفسي تأثيراً عميقاً. أنت تعلم، بين الشباب... رغم أني لست شاباً، ولكن، أنت تعلم، العادة، حياة العزوبة، بين العزاب، هذا معروف...

- نعم، معروف، معلوم! ولكن بأي شيء أستطيع مساعدتك؟

- هكذا إذن: لنقل إنها تزور صوفيا أوستافييفنا... مع أني لا أعرف بالضبط إلى أين ذهبت هذه السيدة، لا أعلم إلا أنها في هذا المنزل، لكن، لما رأيتك تتنزه ذاهباً آيباً، وأنا نفسي كنت متنزهاً ذهاباً وإياباً من الجهة الأخرى، قلت لنفسي... إنني هنا أنتظر هذه السيدة، أترى، أعلم أنها هنا، كنت أودُّ أن ألتقي بها وأن أشرح لها كم هو سلوك بذيء ودنيء... بكلمة واحدة، أنت تفهمني...

- إحم! وإذن!

- وليس حتى من أجلي أفعل هذا، لا تتصور شيئاً، إنها زوجة رجل آخر! زوجها يقف هناك، على جسر فوزنيسينسكي، إنه يريد أن يضبطها متلبسة ولكنه لم يقرر بعد، إنه لا يزال غير مصدق، مثل كل الأزواج... (هنا همَّ الرجل المرتدي معطف فرو الراكون أن يبتسم) أنا صديقه، وأنت نفسك توافق على أنني رجل أتمتع ببعض الاحترام... ولا أستطيع أن أكون ذلك الشخص الذي تظن.

- طبعاً، وبعد، وبعد؟

- وإذن هكذا، أريد أن أضبطها متلبسة بالجرم. أنا مكلف بذلك (يا للزوج المسكين!) ولكن، أعرفها ماكرة، هذه السيدة الشابة (دائماً بول دو كوك تحت وسادتها) أنا مقتنع أنها ستجد وسيلة للإفلات، دون أن يلاحظها أحد... أعترف بأن الطباخة هي التي قالت لي إنها تأتي إلى هذا المنزل، فانطلقت راكضاً،

كالمجنون، إلى هنا، حين علمت بهذا الخبر، أريد أن أضبطها متلبسة. منذ مدة طويلة وأنا أشك فيها، ولهذا أردت أن أسألك، أنت الذي تتمشي هنا... أنت... أنت، لا أدري...

- حسناً، ولكن، أخيراً، ماذا تريد؟

- نعم... أليس كذلك، لا أتشرف بمعرفتك، لا أجرؤ على أن أسألك من، ماذا، وكيف... وعلى أية حال، اسمح لي أن نتعارف... إنها مناسبة طيبة!».

شدّ الرجل المضطرب على يد الشاب بحرارة، وأضاف قائلاً:

- «هذا ما كان علي أن أفعله منذ البداية، لكني نسيت اللياقة».

لم يكن الرجل المرتدي فرو الراكون، وهو يتحدث، يثبت في مكانه، كان يلقي حوله نظرات قلقة جداً، ولا يكفّ عن تحريك رجليه، وفي كل لحظة، كان، كأنه يُحتضَر، يُمسك، مرة بعد أخرى، بذراع الرجل الشاب.

وتابع قائلاً:

- «سأقول لك، كنت أريد أن أخاطبك كصديق، سامحني على هذه الحرية... كنت أريد أن أطلب منك أن تراقب الجانب الآخر، وطرف الزُقاق، هناك حيث يوجد مدخل الخدمة، وأن ترسم، هكذا، حرف الباء الإغريقية "Π"، أترى ما أريد أن أقول. وأنا، أيضاً، من جهتي، سأمشي ذهاباً وإياباً أمام المدخل الرئيسي، وبالتالي لا تستطيع أن تفلت منا، كنت أخشى كثيراً أن تفلت مني، إذا كنت وحدي، وأنا لا أريد أن أفلتها،

وأنت، إذا رأيتها، ستقبض عليها، وستناديني. . . كلا، يا لي من مجنون! إنني أدرك الآن فقط حماقة اقتراحي وعدم لياقته!

- لا، هيا! من فضلك!

- لا عذر لي، إنني مشوش الذهن تماماً، أنا خارج عن طوري كما لم يسبق لي من قبل! كأنني أساق إلى المحاكمة! وسأعترف لك أيضاً. . . سأكون صريحاً وصادقاً معك، أيها الشاب: لقد ظننت أنك العشيق!

- يعني، ببساطة، تريد أن تعرف ماذا أفعل هنا؟

- أيها الرجل الشاب النبيل، يا سيدي المحترم، حاشا لي أن أفكر أنك هو، لم أقصد أن ألوثك هكذا، ولكن، هل تقسم لي بشرفك إنك لست العشيق؟

- طيب، حسناً، إذا شئت، أحلف لك بشرفي، إنني أنا العشيق، ولكنني لست عشيق زوجتك، لو كنته، لما كنت الآن في الشارع، إنما معها!

- عشيق زوجتي؟ من قال لك «زوجتي» أيها الشاب؟ أنا عازب، إنني، أعني، أنا نفسي عشيق. . .

- ولكنك قلت إن هناك الزوج. . . على جسر فوزنيسينسكي. . .

- طبعاً، طبعاً، أنا أنسى نفسي عندما أتكلم، ولكن هناك علاقات أخرى! و، اتفق معي، على خفة معينة، في الطبع، يعني. . .

- طيب، طيب، حسناً، حسناً!

- أريد أن أقول إنني لست الزوج على الإطلاق.

- أصدقك تماماً، يا سيدي، ولكن أقول لك بصدق إنني لو حاولت أن أخدعك الآن فإنما لكي أهدأ أنا نفسي، ولذلك، بالأساس، سأكون صريحاً معك، لقد ضايقتني، وأزعجتني. أعدك بأن أناديك. ولكن أرجوك بكل تواضع أن تدع لي المكان، وأن تبتعد. فأنا أيضاً أنتظر.

- عفوك، عفوك، يا سيدي، سأبتعد، إنني أحترم نفاذ الصبر العاطفي لقلبك. أفهم ذلك، أيها الشاب. آه! كم أفهمك في هذه اللحظة!

- طيب، حسناً...

- إلى اللقاء! ولكن، اسمح لي، أيها الشاب، أعود إليك من جديد... لا أعرف كيف أقول... أكد لي مرة أخرى بكلمة شرف صادقة، أنك لست العشيق!

- آه! يا إلهي!

- سؤال آخر، الأخير: تعرف اسم زوج الـ... أقصد تلك التي تعنيك؟

- بطبيعة الحال، أعرفه: إنه ليس اسمك، وهذا كل شيء!

- وكيف تعرف اسمي؟

- اسمع، أخيراً، عليك أن تذهب، إنك تضيع الوقت، سوف تفلت منك ألف مرة... ولكن، ماذا تريد؟ تلك التي تعنيك ترتدي معطف فرو ثعلب وتعتمر قلنسوة، والتي تخصني لها سترة ذات مربعات وقبعة مخملية زرقاء... وإذن، ما الذي تحتاج إليه حتى الآن؟ ماذا تريد أكثر؟».

صاح الرجل اللجوج الذي استدار فجأة:

- «قبعة مخملية ذات لون أزرق سماوي! وهي أيضاً، لها معطف ذو مربعات وقبعة ذات لون أزرق سماوي!

- آه، اللعنة عليك! وماذا بعد، هذا شيء يمكن أن يحدث... نعم، على كل حال، ماذا أقول! ليس من عادة التي تعنيني أن تأتي إلى هنا!

- وإذن، أين هي، التي تعنيك؟

- تريد أن تعرف ذلك، هل يعنيك هذا؟

- أعترف لك إنني ما زلت أتساءل...

- أوف، يا إله السماء! ولكنك لا تملك أدنى حياء! وإذن، للتي تعنيني، أصدقاء، هنا، في الطابق الثاني، المطل على الشارع. ماذا تريد أيضاً، أن أذكر لك الأسماء، ربما؟

- يا إلهي! والتي تعنيني أيضاً، لها أصدقاء في الطابق الثاني، والنوافذ تطل على الشارع. جنرال...

- جنرال!

- جنرال. وأستطيع أن أذكر لك من هو: إنه الجنرال بولوفيتسين.

- أترى! ليس هو ذاك! (آه، الجحيم! يا إلهي!).

- ليس هو ذاك!

- لا، ليس هو ذاك».

كان الرجلان صامتين، يحدق أحدهما في الآخر مذهولاً.

صاح الرجل الشاب، متذمراً على الرغم من ذهوله وحلمه:

- «ولكن ما لك تنظر في وجهي هكذا؟».

ارتجَّ الرجل الآخر قائلاً:

- «أنا... أنا... أعترف...

- لا، الآن، اسمح لي، اسمح لي، لنتحدث بطريقة عقلانية أكثر. أصبحت القضية مشتركة. اشرح لي... من لديك هناك؟

- يعني، أصدقاء؟

- نعم، أصدقاء...

- آه، أترى، أترى! أنا أقرأ ذلك في عينيك، لقد خمنت!

- إلى الجحيم! ولكن، لا، لا، أقول لك، ليأخذك الشيطان! أنت أعمى أم ماذا؟ ما دمت هنا أمامك، لست معها إذن، ماذا! هيا! ثم إن الأمر لدي سواء، أن تتكلم أو أن تصمت، لا يهمني...».

دار الرجل الشاب دورتين على عقبيه، وهو يتميز غيظاً.

- «ولكن لا تغضب، أرجوك، سأحكي لك كل شيء، بصدق، في البداية، كانت زوجتي تأتي إلى هنا وحدها، إنها قريبة لهم. وأنا، لم يخامرني أدنى شك. بالأمس، التقيت بفخامة الجنرال، فقال لي إنه انتقل من هنا منذ ثلاثة أسابيع بينما زو... كلا، تماماً، ليست زوجتي بل زوجة الآخر (الذي في جسر فوزنيسينسكي)، كانت هذه السيدة قد قالت منذ يومين فقط إنها كانت آتية من عندهم، يعني من الشقة الموجودة ها هنا. والطباخة هي التي حكت لي أن شقة فخامته قد استأجرها شاب يسمى بوبينيتسين.

- آه! اللعنة!

- سيدي العزيز، أنا خائف، مرتعب!

- إيه! اذهب إلى الجحيم! ما شأني أنا، إن كنت خائفاً ومرتعباً! آه! اسمع، هناك، هناك أحد ما مرّ، هناك...

- أين؟ أين؟ ما عليك إلا تنادي: إيفان أندرييفيتش، وسآتي إليك مسرعاً!

- طيب، طيب، آه! اللعنة! إيفان أندرييفيتش!».

صاح إيفان أندرييفيتش وهو يعود أدراجه لاهثاً:

- «ها أنا ذا! وإذن، ماذا؟ ماذا؟ أين؟

- لا شيء، إنما أردت فقط أن أعرف اسم هذه السيدة.

- غلاف...

- غلافيرا؟

- لا، ليس تماماً غلافيرا... معذرة، لا أستطيع أن أقول لك اسمها».

كان الرجل المحترم شاحب الوجه شحوباً شديداً، عندما نطق بهذه الكلمات.

- «نعم، طبعاً، ليس اسمها غلافيرا، أنا أعرف أن اسمها ليس غلافيرا، والتي تعنيني كذلك ليس اسمها غلافيرا. ولكن مع من هي إذن؟

- أين؟

- ولكن، هناك، فوق! آه، اللعنة، ليأخذك الشيطان!».

(كان الرجل الشاب مغتاظاً جداً بحيث لا يستطيع أن يستقر في مكانه).

- «آه! أترى! كيف عرفت إذن أن اسمها غلافيرا؟

- فلتذهب أنت إلى الجحيم أخيراً! ألن أرتاح منك؟ ألم تقل أنت نفسك منذ قليل إن اسم صاحبتك ليس غلافيرا؟

- سيدي العزيز، أية لهجة هذه!

- آه، ولكن، دعك من اللهجة الآن! أهي زوجتك أم ماذا؟

- لا، يعني، أنا غير متزوج... ولكنني لست مثلك لا أسمح لنفسي بأن أتمنى لرجل واقع في مصيبة، لرجل، لا أقول إنه جدير بكل اعتبار، ولكنه على الأقل رجل يتصرف بشكل جيد، أن يأخذه الشيطان في كل خطوة. إنك لا تكفّ عن القول: اذهب إلى الجحيم! يأخذك الشيطان! واللعنة!

- وإذن، نعم، اذهب إلى الجحيم! هذا لك، هل تفهم؟

- الغضب أعماك، وها أنا ذا ألوذ بالصمت... يا إلهي، ما هذا؟

- أين؟».

تعالت أصداء ضجيج وضحكات، وخرجت من العمارة شابتان، فهرع نحوهما الرجلان معاً.

قالت إحداهما متسائلة:

- «أوه، من أنتما؟ ماذا تريدان؟

- ما لك؟

- ليستا هما!

- هيا، شبهنا لكما! أيها الحوذي!

- إلى أين يا آنسة؟

- إلى بوكروف، اصعدي، يا أنّوشكا، سأوصلك.

- حسناً، سأصعد من الجهة الأخرى. هيا، أيها الحوذي! حاول أن تسرع!».

وانطلقت العربة.

- «من أين جاءتا؟

- يا إلهي، يا إلهي! ألا يمكن أن نصعد؟

- إلى أين؟

- إلى بيت بوبينيتسين.

- لا، يا سيدي، لا يمكن...

- لماذا؟

- كان يمكن لي أن أصعد، طبعاً، ولكنها سوف تقول شيئاً آخر، سوف تتخلص من ورطتها: أنا أعرفها! ستدّعي أنها جاءت عمداً، لكي تضبطني مع من لا أدري وعندئذ يقع اللوم كله علي!

- ويمكن أن تكون هناك! ولكن أنت... لا أدري، لِم لا... ولكن نعم، أنت، اذهب، إلى هذا الجنرال...

- ألم أقل لك إنه انتقل من هنا؟

- لا يهم، أتفهم؟ هي ذهبت إلى هناك، وإذن، أنت أيضاً، أفهمت؟ افعل كأن الجنرال لم ينتقل من هنا، وكأنك جئت إلى منزله بحثاً عن زوجتك... وهلم جراً.

- وبعد ذلك؟

- وبعد ذلك تضبط من تعرف عند بوبينيتسين. أف، ليأخذك الشيطان، أنت مشوش العقل...

- ولكن، ماذا يهمك أنت من أضبط؟ أرأيت، أرأيت!

- ماذا؟ ماذا، يا صاح؟ ماذا أرى؟ رجعت من جديد إلى فكرتك؟ آه! يا إلهي، يا إلهي! عليك أن تخجل من أن تصل إلى هذا الحدّ من السذاجة والبلاهة!

- ليكن، ولكن لماذا أنت إذن مهتم كثيراً؟ تريد أن تعرف...

- أن أعرف ماذا؟ إيه، ماذا؟ آه، ولكن، ليأخذك الشيطان، أنا في غنى عنك، الآن، سأمضي إلى هناك وحدي، هيا، اذهب الآن، راقب المكان، اركض إلى هناك، هيا!».

صاح الرجل المرتدي معطف فرو الراكون بيأس:

- «سيدي العزيز، يبدو لي أنك تنسى نفسك!».

تمتم الرجل الشاب، وهو يصر بأسنانه ويتقدم، مغتاظاً، نحو الرجل المرتدي معطف فرو الراكون:

- «وماذا إذن؟ ماذا، إذا نسيت نفسي؟ هه، وإذن؟ أمام من، أنسى نفسي؟».

قال ذلك بلهجة حادة ملوحاً بقبضتي يديه:

- «ولكن، سيدي العزيز، عفواً...

- هه، من أنت، الذي أنسى أمامه نفسي؟ ما هو اسمك؟

- لا أرى، كيف هذا، أيها الشاب... لماذا اسمي؟ لا أستطيع أن أقوله لك... أفضّل الذهاب معك إلى هناك. هيا بنا، لن أبقى بعيداً، أنا مستعد لكل شيء... ولكن، صدقني، إنني أستحق تعبيرات أكثر تهذيباً! لا ينبغي أبداً أن يفقد المرء حضوره العقلي، وإذا أصابك شيء، وأنا أخمن ما هو، فلا ينبغي على الأقل أن تنسى... أنك لا تزال رجلاً شابا جداً!

- وماذا يعنيني أنا، أن تكون أنت كبيراً في السن[6]؟ يا للمهزلة! اغرب عن وجهي، لماذا تركض هنا في كل اتجاه؟

- كيف أنا مسن؟ لماذا أنا كبير؟ بسبب لقبي، طبعاً، ولكنني لا أركض في كل اتجاه...

- هذا ما أراه. وإذن، هيا اذهب من هنا...

- لا، لا، سأرافقك، لا تستطيع منعي من ذلك، أنا أيضاً، متورط، سأمضي معك...

- طيب، وإذن بهدوء، بهدوء، اصمت!».

اجتازا درجات المدخل، وصعدا على السلم، حتى الطابق الثاني، كان الظلام حالكاً هناك قليلاً.

- «قف! عود الثقاب، لديك؟

- عود الثقاب؟ أي عود ثقاب؟

- أنت تدخن السيجار؟

- آه، نعم! نعم، نعم، لدي، ها هو، هنا، ها هو، خذ، انتظر... (كان الرجل المرتدي معطف فرو الراكون يهتز بشدة).

- أوف! يا لل... إلى الجحيم! أظن أن هذا هو الباب...

- هذا هو، هذا هو، هذا هو، هذا هو، هذا هو...

- هذا هو، هذا هو، هذا هو، ما بالك تصرخ هكذا؟ اصمت!

- يا سيدي، الكف على القلب... أنت وقح، هذا أنت!».

اشتعل عود الثقاب.

- «طيب، هذا ما قلته، هذه اللوحة النحاسية! هو ذا: بوبينيتسين، أترى: بوبينيتسين؟

- أرى، أرى!

- اسـ. . .كت! هل انطفأ عود الثقاب؟

- نعم.

- هل يجب أن نطرق الباب؟».

أجاب الرجل المرتدي معطف فرو الراكون:

- «هيا اطرق إذن!

- لا، لماذا أنا؟ أنت الأول، اطرق. . .

- جبان!

- أنت الجبان!

- ندمت تقريباً على الكشف عن سري لك، أنت. . .

- أنا. . . ماذا أنا. . .؟

- أنت تستغل اضطرابي! لقد رأيت أنني كنت مضطرباً و. . .

- هذا لا يهم. . . إنني أمزح! ليس إلا!

- ولماذا أنت هنا؟

- وأنت، إذن، لماذا؟».

وأشار الرجل المرتدي معطف فرو الراكون بسخط:

- «يا لها من أخلاق حميدة!

- أنت الذي تحدثني عن الأخلاق؟ هاه، أنت؟

- وإذن، أقول إنه أمر غير أخلاقي!

- ماذا؟

- نعم، بحسب رأيك، كل زوج مخدوع إنما هو مغفل!

- أنت الزوج إذن؟ ولكنني كنت أظن أن الزوج كان على جسر فوزنيسينسكي؟ وإذن، فيمَ يعنيك هذا؟ ما دخلك أنت؟

- ويبدو لي، أنا، أنك أنت العشيق!

- اسمع، إذا بقيت مستمراً هكذا، سأكون مضطراً إلى أن أعترف بأنك أنت هو المغفل! أتفهم ما أريد أن أقول؟».

قال الرجل المرتدي معطف فرو الراكون وهو يتراجع كالملسوع:

- «تريد أن تقول إنني أنا الزوج!

- شش! اسكت! أتسمع؟

- إنها هي

- لا!

- آه، ما أشدّ الظلام!».

ساد الصمت، يسمع ضجيج في شقة بوبينيتسين.

همس الرجل المرتدي معطف فرو الراكون:

- «لماذا نتشاجر، يا سيدي العزيز؟

- ولكنه أنت، يأخذك الشيطان، أنت الذي تبدأ الإساءة!

- ولكن، أنت أخرجتني عن طوري!

- اسكت!

- اعترف بأنك لا تزال شاباً جداً...

- طبعاً، أنا متفق مع رأيك، أن زوجاً في مثل هذه الوضع، إنما هو مغفل.

- ولكن هلا صمتّ أخيراً! آه!

- ولكن ما جدوى أن تحمل بضراوة على زوج تعيس؟

- إنها هي!».

ولكن في هذه اللحظة انقطع الضجيج.

- «هل هي؟

- نعم، هي، هي، هي! ولكن أنت، نعم. أنت، لماذا تتلوى هنا؟ لست أنت هو ذلك التعيس!».

همس الرجل المرتدي معطف فرو الراكون، ممتقعاً ودامعاً تقريباً:

- «سيدي العزيز، سيدي العزيز، صحيح أنني شديد الاضطراب... وقد رأيت هواني بما فيه الكفاية، والآن طبعاً ليلٌ، ولكن غداً... رغم أننا، دون شك، لن نلتقي، غداً، حتى لو كنت لا أخشى أن أراك مرة أخرى، ومع أنه ليس أنا، بل هو صديقي، الذي ينتظر على جسر فوزنيسينسكي، تماماً، إنه هو! إنها زوجته هو، إنها زوجة رجل آخر! رجل يرثى له، بالتأكيد! أعرفه جيداً، سأحكي لك عن كل شيء. أنا صديقه، وإلا، لما كنت حزيناً من أجله الآن، كما يمكنك أن ترى بنفسك. قلت له، مراراً: لماذا تتزوج، يا صديقي العزيز؟ لديك مقام رفيع، ولك عيش رغيد، وأنت رجل محترم، لماذا تغير كل ذلك من أجل أهواء الدلال النسائي؟ اعترف بذلك! فقال لي: لا، أريد الزواج: طلباً للسعادة العائلية... وها هي ذي سعادة العائلة! بدأ هو نفسه بخداع المتزوجين وعليه أن يشرب اليوم كاس المرارة... ستعذرني، ولكن هذا الشرح كانت تفرضه الضرورة! إنه رجل مسكين وقد شرب الكاس - هنا!».

(وفي هذه اللحظة، عندما نطق السيد المرتدي معطف فرو الراكون بهذه الكلمات، أطلق شهقة عميقة كأنه كان يبكي حقاً).

- «ولكن ليذهبوا جميعاً إلى الجحيم! لا يعوزنا الحمقى! وأنت، من أنت؟».

كان الرجل الشاب يصرّ بأسنانه حنقاً.

- «وإذن، بعد هذا، ستعترف بنفسك... كنت صريحاً وصادقاً معك... ولكن نغمة مثل هذه!

- كلا، عفواً، وعذراً... ما هو اسمك؟

- ولماذا اسمي؟

- ها!

- لا أستطيع أن أذكر لك اسمي».

قال الرجل الشاب بصوت سريع:

- «تعرف شابرين؟

- شابرين!

- نعم، شابرين! آه! (هنا، أغضب الرجل المرتدي معطف «البيكيشا» إلى حدّ ما الرجل المرتدي معطف فرو الراكون)، هل فهمت؟».

أجاب الرجل المرتدي معطف فرو الراكون مرتبكاً تماماً:

- «لا، يا سيدي، ما دخل شابرين هنا؟ ليس شابرين البتة: إن شابرين رجل محترم! أعذرك على وقاحتك هذه بسبب معاناتك من الغيرة.

- إنه محتال، خائن، مرتشٍ، واشٍ، مختلس، خسيس، سرق خزينة الدولة! سيحال قريباً على القضاء!».

قال الرجل المرتدي معطف فرو الراكون الشاحب دائماً:

- «عفواً، أنت لا تعرفه، من الواضح أنك تجهله تماماً.

- كلا، لم أرَ رأسه أبداً، ولكنني أعرفه، ومن مصادر أخرى قريبة منه جداً.

- ولكن من أية مصادر، يا سيدي؟ أنا شديد الاضطراب، كما ترى...

- إنه غبي! غيور! غير قادر على مراقبة زوجته! هذا هو، إذا كان يحلو لك أن تعرف ذلك!

- عفواً، أنت مخطئ تماماً، أيها الشاب...

- آه!!

- آه!!».

يتعالى ضجيج عند بوبينيتسين. بدأ يفتح الباب. وتناهت أصداء أصوات.

قال السيد المرتدي معطف فرو الراكون وقد ازداد شحوباً:

- «آه، ليست هي، ليست هي! أعرف صوتها، أرى الآن بوضوح، ليست هي!

- اسكت!».

التصق الرجل الشاب بالجدار.

- «سيدي العزيز، سأنسحب: ليست هي، أنا مسرور.

- حسناً، انسحب، اذهب!

- وأنت، لماذا تبقى إذن؟

- وأنت، لماذا؟».

فتح الباب، فارتعب الرجل المرتدي معطف فرو الراكون، وأسرع هابطاً إلى أسفل السلم مطأطئ الرأس.

رأى الرجل الشاب شبحيْ رجل وامرأة يمران بالقرب منه فجمد قلبه... سمع صوت امرأة، يعرفه جيداً، ثم صوت رجل أجش، لم يعرفه أبداً.

قال الصوت الأجش:

- «لا يهم، سأحضر زلاجة.

- آه! جيد، جيد، موافقة، هيا، احضرها...

- إنها هنا، بسرعة».

بقيت المرأة وحدها.

صاح الرجل الشاب ذو «البيكيشا» ممسكاً بذراع المرأة:

- «غلافيرا، أين عهودك التي أقسمت عليها؟

- ها! من هذا؟ أنت، تفاروغوف؟ يا إلهي! ماذا تفعل هنا؟

- مع من كنت؟

- ولكنه زوجي، اذهب، اذهب، سيخرج حالاً من هنا... من بيت بولوفيتسين، ارحل، أرجوك، ارحل.

- عائلة بولوفيتسين لم تعد تسكن هنا منذ ثلاثة أسابيع! إنني أعرف كل شيء!

- آه!».

اندفعت المرأة نازلة على درجات السلم. فلحق بها الرجل الشاب.

سألته:

- «من قال لك ذلك؟

- زوجك، يا سيدتي، إيفان أندرييفيتش، إنه هنا، أمامك، يا سيدتي. . .».

كان إيفان أندرييفيتش فعلاً قريباً من درج المدخل.

صاح السيد المرتدي معطف فرو الراكون:

- «آه! هذه أنت؟».

وصاحت غلافيرا بيتروفنا مندفعة نحوه بفرح غير متصنع:

- «{آه، هذا أنت!}[7] يا إلهي! لو تعرف ما حدث لي! كنت عند آل بولوفيتسين، وتصور. . . أنت تعرف أنهم يسكنون الآن في جسر إيزمايلوفسكي؟ قلت لك ذلك، أتذكر؟ ومن هناك ركبت زلاجة. فانطلقت الخيول جامحة فكسرت الزلاجة وسقطت على مسافة مائة خطوة من هنا، اعتقل الحوذي، وكنت كالمجنونة. ومن حسن الحظ فإن {السيد} تفاروغوف. . .

- ماذا؟».

كان {السيد} تفاروغوف شبيهاً بتمثال متحجر، أكثر مما هو {السيد} تفاروغوف.

- «{السيد} تفاروغوف رآني هنا في هذه اللحظة واقترح علي أن يوصلني. ولكن ما دمت أنت هنا الآن، لم يبقَ لي إلا أعبّر لك عن امتناني الحار، يا إيفان إيليتش. . .».

مدت السيدة يدها إلى تمثال إيفان إيليتش المتحجر وقرصت يده أكثر مما شدت عليها.

- «{السيد} تفاروغوف، صديق لي، في الحفل الراقص المقام عند آل سكورلوبوف، تشرفت بمعرفته: قلت لك ذلك، فيما أظن؟ ألا تذكر، كوكو؟».

أخذ يتنحنح السيد المرتدي معطف فرو الراكون المدعو كوكو:

- «آه! بل، أجل، طبعاً! نعم، نعم، أذكر! تشرفنا، تشرفنا».

وشدّ بحرارة على يد {السيد} تفاروغوف.

وفي هذه اللحظة قال الصوت الأجش:

- «مع من أنت؟ ماذا يعني هذا؟ أنا أنتظر...».

أمام الجماعة انتصب رجل ذو قامة ضخمة، أخرج نظارتيه وحدق في وجه السيد المرتدي معطف فرو الراكون.

وأخذت السيدة تزقزق قائلة:

- «آه، السيد بوبينيتسين! يا للحظ السعيد! يا له من لقاء! تصور، كادت الخيول أن تقتلني... ولكن ها هو زوجي! {جون}!، هذا {السيد} بوبينيتسين، في الحفل الراقص عند آل كاربوف...

- آه! سعيد جداً، مسرور حقاً! ولكنني ذاهب لآتي بعربة، يا عزيزتي.

- أرجوك، هيا، يا {جون}، أسرع: أنا شديدة الاضطراب، وما زلت أرتعش، وأظن أنني سيغمى علي...».

وهمست لتفاروغوف:

- «هذا المساء في الحفل التنكري، إلى اللقاء، إلى اللقاء، أيها {السيد} بوبينيتسين! سنلتقي بالتأكيد غداً في الحفل الراقص عند كاربوف...

- لا، عذراً، غداً لن أكون هناك، غداً، سنرى، ما دام الأمر هكذا. . .».

وغمغم {السيد} بوبينيتسين أيضاً شيئاً بين أسنانه، وخبط الأرض بجزمته الضخمة واستدار نحو زلاجته فامتطاها وانصرف.

وتقدمت عربة، فصعدت إليها السيدة. وظلَّ السيد المرتدي معطف فرو الراكون جامداً في مكانه، كأنه غير قادر على القيام بأي حَراك، ومتطلعاً بنظرة غبية. . . نحو السيد المرتدي معطف «البيكيشا». وكان الرجل الشاب ذو «البيكيشا» مبتسماً على نحو روحي إلى حدّ ما.

- «لا أعرف. . .».

وأجاب الرجل الشاب، محيياً بفضول ومحرجاً قليلاً:

- «معذرة، تشرفت بمعرفتك.

- أنا سعيد جداً، ومسرور حقاً. . .

- جُرموق حذائك، فيما أظن، نزل قليلاً. . .

- أنا؟ آه، نعم! شكراً جزيلاً، أفكر دائماً في اقتناء جزمة مطاطية. . .».

قال الرجل الشاب بحنو لا متناهٍ واضح:

- «يقال إن القدم تعرق في المطاطية.

- {جون}! وإذن، هل ستأتي قريباً؟

- نعم، تعرق القدم فيها فعلاً. أنا آتٍ، آتٍ، يا روحي، يا له من حديث مهم جداً! تماماً، كما تريد أن تلفت انتباهي، القدم تعرق. . . ولكن في الواقع، عفواً، أنا. . .

- أرجوك...

- أنا سعيد جداً، سعيد بمعرفتك حقاً...».

صعد الرجل المرتدي معطف فرو الراكون إلى المركبة، التي لم تلبث أن انطلقت مسرعة، بينما ظلَّ الرجل الشاب طويلاً جامداً في مكانه، يلاحقها بنظراته مذهولاً.

الفصل الثاني

غداة غد مساء، كان هناك حفل في الأوبرا الإيطالية. اندفع إيفان أندرييفيتش داخل القاعة مثل قنبلة. لم يلاحظ أحد عنده أبداً مثل هذا الغضب (Furore)[8]، ومثل هذا الشغف بالموسيقى. من المعروف قطعاً أن إيفان أندرييفيتش كان يحب كثيراً أن ينام في الأوبرا الإيطالية ساعة أو ساعتين، وكان يؤكد في عدة مناسبات أن ذلك النوم ممتع ولذيذ. وكان يقول لأصدقائه: «وهناك أيضاً مغنية الأوبرا الأولى، التي تموء في أذنك مثل قطة صغيرة بيضاء، بتهويدة جميلة». ولكن ذلك كان يقوله منذ زمن بعيد، خلال موسم ماضٍ: والآن، واحسرتاه! لم يعد إيفان أندرييفيتش يذوق طعماً للنوم، ليلاً، حتى في منزله.

ومع ذلك، اقتحم القاعة الغاصة بالجمهور مثل قنبلة، حتى إن عامل المسرح الموصل الناس إلى مقاعدهم، ألقى عليه نظرة مرتابة وحوّل عينيه حالاً نحو جيبه الجانبي، وهو لا يشك في أن يلمح مقبض خنجر، قد يكون، من يدري، يخبئه فيه لأي حادث طارئ. ومن الجدير بالذكر أن في ذلك الوقت كان حزبان، لكل منهما مغنيته الأوبرالية الأولى. كان هناك البورسيون

والفريزولينيون[9]. وكان الحزبان المتعصبان يحبان فن الغناء (Bel canto)[10] إلى حدّ أن عمال المسرح الموصلين الناس إلى مقاعدهم أصبحوا يخشون حقاً من عاقبة التعبير الجازم للمعجبين المتعصبين عن حبهم لكل ما تمثله هاتان المغنيتان من سمو وجمال.

ولذلك، أمام هذا الاندفاع المراهق داخل قاعة المسرح، من طرف رجل مسن وأشيب أيضاً، رغم أنه، على كل حال، ليس أبيض الشعر تماماً، ولكنه هكذا، في نحو نصف قرن من العمر، وليس أصلع كثيراً، لنقل أخيراً، لرجل يبدو كبيراً، عندما رآه عامل المسرح الذي يرشد الناس إلى مقاعدهم، تذكر دون إرادته هذه الكلمات الرفيعة، لهاملت، الأمير الدانماركي:

عندما تسقط الشيخوخة بشكل رهيب
ماذا يقال عن الشباب؟... إلخ.

وكما قلنا أعلاه، فقد ألقى عامل المسرح نظرة مرتابة نحو الجيب الجانبي، من «فْراك» الرجل المقتحم القاعة، مقدراً أن يرى فيه خنجراً. ولكن، لم يكن هناك سوى محفظة نقود، ولا شيء غير ذلك.

عندما اندفع إيفان أندرييفيتش داخل القاعة، ألقى نظرة سريعة على جميع شرفات البلكون الثاني، ويا للهول! كاد قلبه أن يتوقف عن الخفقان! كانت هناك! جالسة في إحدى الشرفات! وكان هناك كذلك الجنرال بولوفيتسين وزوجته، مع

أختها الشابة، وكان هناك أيضاً مساعد الجنرال - وهو شاب حاذق جداً - وكان ثمّة أيضاً رجل مدني. . . ركز عليه إيفان أندرييفيتش انتباهه كله، وبصره الحاد، ولكن، يا للهول! كان ذلك الرجل المدني قد اختفى غدراً خلف مساعد الجنرال وظلّ في ظلام المجهول.

كانت هنا، ولكن ليس هذا بتاتاً هو المكان الذي قالت إنها ذاهبة إليه! إن هذه الازدواجية، التي أخذت تظهرها منذ فترة غلافيرا بيتروفنا في كل خطوة، هي التي كانت بالضبط تصيب في مقتل إيفان أندرييفيتش. وهذا الشاب المدني بالذات هو الذي ألقى به أخيراً إلى اليأس التام. استرخى في مقعده، محطَّماً تماماً. ما الفائدة، ألا يبدو ذلك؟ كانت القضية من أبسط ما يكون. . . يجب أن نلاحظ أن مقعد إيفان أندرييفيتش كان إلى جانب {بينوار} فضلاً عن أن {اللوج} الغدار للشرفة الثانية كان يوجد فوق مقعده تماماً، وبالتالي فإنه كان لخيبة أمله الكبيرة يستحيل عليه أن يرى ما كان يجري فوق رأسه.

ومع ذلك كان شديد الفوران والغليان مثل ماء السَّماوَر. وانتهى الفصل الأول دون أن يلاحظ شيئاً، يعني أنه لم يسمع أية نغمة. يقال إن فضيلة الموسيقى أننا نستطيع أن نجعل انطباعاتنا الموسيقية متناغمة مع حالاتنا النفسية. فالإنسان السعيد يجد الفرح في النغمات، والحزين يجد الحزن، وفي أذني إيفان أندرييفيتش كانت تعول عاصفة كاملة. ولتتويج غيظه كانت تعوي خلفه، وأمامه، وعن يمينه، وشماله، أصوات مخيفة كاد أن ينفجر منها قلب إيفان أندرييفيتش. وانتهى الفصل أخيراً. ولكن،

في لحظة انسدال الستار، واجه بطلنا مغامرة لا يستطيع وصفها أي قلم.

يحدث أحياناً أن تسقط من أعلى الشرفات ورقة برنامج الحفل.

عندما يكون العرض مضجراً ويتثاءب المتفرجون، فذلك بالنسبة إليهم مغامرة حقيقية: إذ يتابع أصحاب المقصورات العليا خاصة بحماسة منقطعة النظير طيران هذه الورقة الخفيفة المحلقة من أعلى الشرفات، ويجدون متعة كبيرة في مراقبة هبوطها المتعرج حتى مقاعد المشاهدين في ردهة المسرح، حيث لا تلبث أن تحط فوق رأس غير مستعد لهذه الزيارة.

في الواقع، من الغريب جداً أن نرى ارتباك هذا الرأس (إذ لا بد أن يضطرب) أما أنا، فكنت دائماً أخاف أيضاً من منظار السيدات الذي كثيراً ما يوضع غالباً على حافة المقصورات: لدي الانطباع دائماً بأن منظاراً سيهوي بين لحظة وأخرى فوق رأس غير مستعد لهذا اللقاء. ولكنني كنت أدرك أن هذه الملاحظة المأساوية لا تمتّ بصلة للموضوع، لذلك أرسلتها إلى مسلسلات تلك الصحف التي تحذِّر قراءها من الخداع وقلة الذمة والصراصير (إذا كانت لديك صراصير في البيت) وتوصيهم بالسيد {بّرينسيبّي} (Signor Principe) الشهير - العدو اللدود والمضاد لكل صراصير العالم، ليست الصراصير الروسية فقط، بل حتى الأجنبية، مثل الصراصير «البروسية» وغيرها.

ولكن المغامرة التي وقعت لإيفان أندرييفيتش لم تكتب لحدّ الآن في أي مكان.

ما سقط فوق رأسه - الذي فيه من الصلع ما يكفي كما قيل - شيء آخر غير ورقة برنامج الحفل. أعترف بأنني أخجل من ذكر ما سقط فوق رأسه، لأنه، حقاً، أمر فظ محزن مخجل قليلاً قول إن فوق الرأس المحترم والأصلع، يعني المحروم جزئياً من شعره، لرجل غيور وحانق مثل إيفان أندرييفيتش قد حطَّ شيء غير أخلاقي، مثل رسالة غرامية مختصرة معطرة تماماً.

على كل حال، فإن المسكين إيفان أندرييفيتش، الذي لم يكن مستعداً أبداً لهذه الزيارة الفاضحة وغير المتوقعة، قد قفز كما لو كان تلقى على رأسه فأراً أو أي حيوان وحشي آخر.

كانت الرسالة المختصرة ذات محتوى غرامي، وهذا الأمر لا سبيل إلى الشك فيه.

كانت مكتوبة على ورقة معطرة، تماماً كما هي رسائل الغرام في الروايات، وطويت وحولت بدهاء إلى حجم صغير، بحيث يمكن إخفاؤها في قفاز سيدة.

ولا شك أنها سقطت بالمصادفة، وفي لحظة الإرسال والانتقال أيضاً: إذ كان ينبغي، مثلاً، أن يكون قد طلب البرنامج، الذي دس فيه خطاب الحب بخفة، وانتقل حالاً إلى أيد معلومة، ولكن، ما هي إلا لحظة، ربما، دفعة غير مقصودة لمساعد الجنرال، المعتذر عن حماقته بنباهة خارقة، حتى كانت الرسالة منزلقة من اليد الجميلة المرتعشة والمرتبكة، بينما الشاب المدني الذي كان نافد الصبر يمد يده إليها، توصل فجأة، بدلاً من الرسالة، بالبرنامج وحده، فلم يعرف ماذا يفعل به قطعاً.

حادثة غريبة، بغيضة! حقيقة عارية تماماً، ولكن، سلِّم أنت

بنفسك، كان إيفان أندرييفيتش، هو نفسه، في وضع أبغض أيضاً.

تمتم وهو يتصبب عرقاً بارداً ويعصر رسالة الحب بين يديه:

- «{مقدّر!»[11] مكتوب! الرصاصة تجد المذنب!».

ثم خطر في باله:

- «ولكن، لا، لا، ليس ذاك! بأي شيء أذنبت؟ كلا، ها هو ذا مثل آخر: على المسكين **ماكار**[12]... إلخ، وهلم جراً».

ولكن من يدري ما سوف يرنّ في رأس مذهول بمثل هذه الحادثة غير المنتظرة!

كان إيفان أندرييفيتش يجلس جامداً في مقعده، وكما يقال لا هو ميت ولا هو حي. كان مقتنعاً أن مغامرته استرعت الانتباه من كل جهة، رغم أن في الصالة كلها وفي هذه اللحظة ذاتها بدأت ترتفع الجلبة والمطالبة باستعادة الغناء. كان يجلس مرتبكاً ومحمراً حياء دون أن يجرؤ على رفع عينيه، كما لو جرى له شيء كريه غير متوقع، أو غير لائق في تجمع رائع وغفير. وأخيراً قرر أن يرفع عينيه. وأسرّ إلى شخص أنيق جالس على يساره:

- «صوت رخيم، أليس كذلك؟».

غير أن الجار الأنيق، الذي كان في ذروة الحماس، يخبط كفاً بكف ورجلاً برجل، ألقى على إيفان أندرييفيتش نظرة سريعة وحائرة، وفي الحال، شكل بوقاً بيديه، فوق فمه، لكي يسمع صوته جيداً، وصاح باسم المغنية. كان إيفان أندرييفيتش، الذي لم يرَ حلقاً مثل هذا، في سعادة غامرة. قال في نفسه: «لم

يلاحظ شيئاً!» واستدار. ولكن الرجل الضخم الجالس خلفه أدار ظهره ووجه نظارته الأنفية نحو {اللوجات}. ففكر إيفان أندرييفيتش: «لا بأس، هنا أيضاً!». في الأمام، طبعاً، لم يرَ أحد شيئاً. والتفت، ناظراً بخجل، وأمل فرح، إلى {البينوار} الذي يوجد مقعده أمامه، وارتجف تحت تأثير إحساس كريه جداً. إذ كانت هناك سيدة في غاية الجمال، تغطي فمها بمنديلها، منقلبة على مسند كرسيها، وتضحك حتى تفقد التنفس.

- «آه، يا لهؤلاء السيدات!».

هكذا تمتم إيفان أندرييفيتش، واتجه نحو المخرج، ماراً فوق أقدام المشاهدين.

أترك الآن القرار لقرائي أنفسهم، وأرجوهم أن يكونوا حكماً بين إيفان أندرييفيتش وأنا. هل يرونه على حقّ في هذه اللحظة؟ إن «المسرح الكبير»[13]، كما نعلم، يحتوي على أربعة صفوف من الشرفات، بالإضافة إلى شرفة خامسة، هي الرواق. فلماذا يفترض أن تسقط هذه البطاقة بالضبط من {لوج} معين، وبالذات من هذا «اللوج» وليس من أي {لوج} آخر غيره، لم لا يمكن أن تكون سقطت مثلاً من الرواق، حيث توجد أيضاً كثير من السيدات؟ ولكن الهوى شيء استثنائي، والغيرة أكثر استثنائية من كل أهواء هذا العالم.

هرع إيفان أندرييفيتش إلى قاعة الاستراحة، جلس أمام مصباح، فضَّ المطبوع وقرأ:

«هذا المساء، حالاً بعد الحفلة، زنقة البازلاء، في زاوية

الزقاق س، المنزل ك، الطابق الثاني، عن يمين السلم. الدخول من بوابة العربات. كن هناك، {بكل تأكيد}[14]، أرجوك».

لم يتعرف إيفان أندرييفيتش على الخط، ولكن لم يكن ثمّة أدنى شك: كان هذا موعداً محدداً. أول فكرة خطرت على بال إيفان أندرييفيتش كانت كالتالي: «يجب ضبطها، والقبض عليها متلبسة، ووقف الشرّ منذ بدايته».

وخطر في باله أن يحاول الكشف عن الجاني في الحال، وهنا بالذات: ولكن كيف يفعل ذلك؟ كان إيفان أندرييفيتش قد انطلق حتى الشرفة الثانية، إلا أنه عاد أدراجه، ما دام فيه حس سليم. لم يعد يدري قطعاً: إلى أين يجري؟ ولانعدام فكرة أخرى، دار على كل الممرات، وألقى نظرة، من خلال الباب المفتوح لإحدى المقصورات، على صفوف المقاعد المقابلة. بل، أجل! أجل! في جميع الشرفات الخمس، العمودية المتوازية، كانت هناك سيدات مع رجال شبان. كان يمكن أن تقع البطاقة من الشرفات الخمس كلها في الوقت نفسه، ولذلك يتهم إيفان أندرييفيتش الشرفات الخمس بالتآمر عليه. ولكن، لا شيء يرشده إلى الطريق الصحيح، فلا دليل لديه. ظلّ يجري طوال الفصل الثاني من ممر إلى آخر، دون أن يجد راحة البال في أي مكان. وعاد إلى صندوق مكتب بيع التذاكر، آملاً أن يحصل من أمين الصندوق على أسماء كل المشاهدين الذين كانوا يجلسون في شرفات الطوابق الأربعة الأولى، ولكن الصندوق كان مغلقاً. وأخيراً دوت الصرخات والتصفيقات الحادة. كان الستار قد أسدل على الحفل الموسيقي. وتعالت نداءات

الاستحسان، ورنّ من أعلى الأروقة صوتان قويان بشكل خاص، هما لقادة الحزبين المعجبين المتعصبين. ولكن إيفان أندرييفيتش لم يعرهما انتباهاً. وخطر في ذهنه ما عليه أن يفعل الآن. فارتدى «بيكيشاه» واتجه إلى زنقة البازلاء، من أجل مباغتة الجاني وضبطه والقبض عليه والكشف عنه وعلى العموم، كان تصرفه إلى حدّ ما أكثر حيوية من ذي قبل.

عثر سريعاً على المنزل، ولما دخل من بوابة العربات، مرَّ فجأة شبح شخص أنيق، يرتدي معطفاً، كأنما مرَّ من بين أصابعه، وتجاوزه وانطلق مسرعاً على السلم، حتى الطابق الثاني. خُيِّل لإيفان أندرييفيتش أنه هو فتاه الأنيق الذي كان جاره منذ قليل، رغم أنه لم يتمكن حينئذ من أن يميز وجهه. جمد قلبه. تجاوزه الآن الفتى الأنيق بطابق. وأخيراً، سمع باباً فُتح في الطابق الثاني، وقد انفتح دون قرع جرس، كأنما كان منتظراً. دخل الشاب إلى الشقة. وصل إيفان أندرييفيتش إلى الطابق الثاني قبل أن يغلق الباب. كان لا بد أن يتوقف أمام هذا الباب، لكي يفكر، بكل تبصر، في تصرفه، وخوفه قليلاً، ثم، أخيراً، في اتخاذ قرار حاسم، ولكن، في هذه اللحظة ذاتها، دوى هدير عربة عند بوابة العربات، وانفتح ثم أغلق باب، بضجة كبيرة، وبدأت خطوات ثقيلة، مع سعال وشكاوى، تعلن صعودها نحو الطوابق العليا. ففزع إيفان أندرييفيتش، وفتح الباب واقتحم الشقة بجلالة زوج غاضب، منتهكة حرمته. هرعَت للقائه خادمة مرتبكة، ثم ظهر خادم: ولكن لا مجال لإيقاف إيفان أندرييفيتش. اندفع مثل قنبلة حتى الحجرات، وعَبَرَ

غرفتين معتمتين، وألفى نفسه فجأة داخل غرفة النوم، أمام سيدة شابة وجميلة جداً، كانت مذعورة تنظر إليه برعب حقيقي، كأنها لا تعي شيئاً مما يجري حولها. وفي هذه اللحظة بالذات، دوت الخطوات الثقيلة في الغرفة المجاورة، متجهة نحو غرفة النوم مباشرة: كانت الخطوات نفسها التي صعدت السلم منذ قليل.

صاحت هذه السيدة رافعة يديها نحو السقف وقد ابيض لونها أكثر من منامتها:

- «يا إلهي! إنه زوجي!».

أدرك إيفان أندرييفيتش أنه ارتكب خطأ، أنه قام بعمل صبياني، وحماقة، وأنه لم يفكر في تصرفه كفاية، ولم يتهيب كثيراً على السلم. لكن فات الأوان. كان الباب قد فتح الآن، والرجل السمين، على ما يبدو من خطواته الثقيلة، سوف يدخل إلى الغرفة... لا أدري ماذا كان يحسب نفسه إيفان أندرييفيتش، لا أدري ما الذي منعه من أن يواجه الزوج، وأن يعلن أنه ارتكب خطأ، وأن يعترف بأنه تصرف هنا بطريقة غير واعية، وغير لائقة، وأن يطلب منه الصفح، ويختفي، دون شرف كبير، أكيد، وبلا مجد، أكيد، ولكن بصدق وصراحة، بل كلا، مرة أخرى، يتصرف إيفان أندرييفيتش بصبيانية، كأنه يحسب نفسه دون جوان أو لوفلاس! فبدأ بالاختباء خلف ستارة السرير، ثم، بعد أن فقد حضوره الذهني، انطرح أرضاً واندس، بغباء، تحت السرير. كان الخوف أقوى تأثيراً فيه من العقل، ولم يستطع إيفان أندرييفيتش، الذي هو نفسه الزوج المنتهكة حرمته، أو الذي يعتقد على الأقل أنه كذلك، أن يحتمل نفسه وجهاً

لوجه مع زوج آخر، كان يخشى، ربما، أن يهينه بحضوره. ومهما يكن، ها هو ذا تحت السرير، غير قادر على أن يعرف كيف انتهى به المطاف إلى هنا. وأغرب ما في الأمر، أن السيدة لم تبدِ أي اعتراض، لم تصرخ وهي ترى هذا السيد المسن الغريب السلوك يبحث عن مخبأ له في غرفة نومها. كانت على الأرجح مذعورة بحيث فقدت القدرة على الكلام.

دخل الزوج، زافراً ومتذمراً، وحيا زوجته بصوت رنان وخَرفان تماماً، وتهالك فوق أريكته كما لو أنه كان يحمل حزمة ثقيلة من الحطب. وانتابته نوبة من السعال الحاد والمستمر. وتحول إيفان أندرييفيتش من نمر هائج إلى حمل وديع، فزع وحائر، كالفأر أمام القط، لا يكاد يتتفس من الرعب، رغم أنه يستطيع أن يعرف من خلال تجربته الخاصة أن كل الأزواج المنتهكة حرماتهم لا يَعَضّون. ولكن ذلك لم يخطر على باله، إما لضعف خياله، أو نتيجة صدمة أخرى. وبكل حذر، وهدوء، بدأ يتخذ وضعاً مريحاً تحت السرير. وما أشد ذهوله عندئذ عندما لمست يده شيئاً، أشد منه ذهولاً، تحرك فجأة وأمسكه هو بدوره من يده! لقد كان تحت السرير رجل آخر...

همس إيفان أندرييفيتش:

- «من هذا؟».

وهمس الغريب المجهول:

- «حسناً، لن أقول لك الآن، من أنا! اصمت بلا حراك، ما دمت محاصراً!

- ولكن...

- اسكت!».

وإذا بالغريب (إذ كان شخص واحد كافياً تحت السرير) يضغط في قبضته على يد إيفان أندرييفيتش بقوة حتى كاد هذا الأخير أن يصرخ من الألم.

- «سيدي. . .

- شُت!

- وإذن، لا تضغط على يدي هكذا، وإلا صرخت.

- هيا، اصرخ، حاول!».

احمر إيفان أندرييفيتش حياء. كان المجهول فظاً وسيئ المزاج. ربما كان شخصاً مصاباً عدة مرات بنوائب الدهر وألفى نفسه عدة مرات في ظروف غير صعبة، بينما كان إيفان أندرييفيتش مبتدئاً ومختنقاً من الضيق. كان الدم يخبط في رأسه. ولكنه كان عاجزاً عن فعل أي شيء: كان لا بد أن يبقى منطرحاً على بطنه. فاستسلم والتزم بالصمت.

بدأ الزوج يقول:

- «كنت، يا روحي، كنت، يا روحي، عند بول إيفانيتش. وجلسنا نلعب الورق، وهكذا. . . (بدأ يسعل) كح، كح، كح، هكذا، كح، أسفل الظهر. . . كخ، كح، كح، اللعنة! كح، كح، كح. . .!».

واستغرق العجوز القصير في السعال.

واستطاع أخيراً أن يوضح، دامع العينين:

- «أخذ ظهري، أسفل ظهري، أخذ يؤلمني. . . يا للبواسير اللعينة! لا أستطيع قياماً، ولا قعوداً وكح، كح، كح، كح!».

كان يبدو أن نوبة السعال التي عاودته، ستعيش عمراً أطول من الشيخ المصاب بهذا السعال. كان الرجل المسكين يدمدم بين لحظة وأخرى، ولكن لم يكن يفهم منه شيء على الإطلاق.

همس البائس إيفان أندرييفيتش:

- «سيدي العزيز، بحق السماء، تنحَّ قليلاً!

- وأين؟ ليس هنا متسع.

- ومع ذلك، تعترف بأنني لا أستطيع أن أظل هكذا. هذه أول مرة أجد نفسي في وضع كريه.

- وأنا في جوار غير سار.

- ومع ذلك، أيها الشاب...

- اخرس!

- اخرس؟ إن تصرفك غير مهذب على كل حال، أيها الشاب... إذا لم أخطئ، أنت بعد شاب، أنا أكبر منك سناً.

- اخرس!

- سيدي العزيز، إنك تنسى نفسك، لا تعرف مع من تتكلم!

- مع رجل منطرح على بطنه تحت سرير...

- ولكن الذي جاء بي إلى هنا، أنا، هو غير المتوقع... الخطأ، بينما أنت، إذا لم أخطئ، أتى بك الفجور.

- لهذا السبب كنت على خطأ.

- سيدي العزيز! أنا أكبر منك سناً، أقول لك...

- سيدي العزيز! نحن معاً واقعان في الورطة نفسها. أرجوك، لا تمسكني من وجهي!

- سيدي العزيز! لا أرى شيئاً. معذرة، ولكن ليس هنا مجال.

- ولماذا أنت إذن سمين؟

- يا إلهي! لم يسبق لي أن كنت في وضع أكثر إذلالاً!

- فعلاً، لا يمكننا أن ننحط أدنى من ذلك.

- سيدي العزيز، سيدي العزيز! لا أعلم من أنت، ولا أفهم ماذا جرى، ولكنني أنا هنا، بالخطأ، ولست الذي تفكر فيه...

- ما كنت لأفكر في شيء، لو لم تدفعني. اسكت إذن.

- سيدي العزيز، إذا لم تتنحَّ قليلاً، سأصاب بسكتة دماغية. وستكون مسؤولاً عن موتي. أؤكد لك... أنا رجل محترم، أنا رب أسرة. ولا أستطيع على كل حال أن أظل على مثل هذا الوضع!

- أنت الذي تحشر نفسك، في هذا الوضع. هيا، تحرك! إليك هذا الحيّز الصغير. لا أستطيع التنحي أكثر من ذلك».

قال إيفان أندرييفيتش ممتناً لجاره على التنحي، ومرخياً عضلاته المتصلبة:

- «أيها الشاب الكريم! أيها السيد الطيب! أرى أنني أسأت بك الظن. أقدِّر وضعك المزعج، ولكن ما العمل؟ أرى أن لك رأياً خاطئاً عني. اسمح لي أن أبرز سمعتي أمامك. اسمح لي أن أقول لك من أنا - إنني جئت إلى هنا رغماً عني، أؤكد لك، ولم آتِ من أجل ما تفكر فيه... إن خوفي رهيب.

- هلا سكت أخيراً؟ ألا تدرك عاقبتنا، إذا سمعونا؟ شُت... إنه يتكلم».

(في الواقع، كان يظهر أن نوبة سعال العجوز بدأت تزول).

قال وهو يلهث بصوت يبعث على الرثاء:

- «وهكذا، يا عزيزتي، هكذا... كح! كح! كح! آه، اللعنة! فْيدوسْييْ إيفانوفيتش هو الذي قال لي: هل جربت شرب نقيع ألف ورقة؟ أتسمعين، يا عزيزتي؟

- اسمع، يا صديقي.

- حسناً، وإذن قال لي هكذا: عليك أن تجرب شرب نقيع ألف ورقة. وهكذا قلت له إذن: لقد استعملت بالفعل العلقة. ولكنه قال لي: لا، يا ألكسندر ديميانوفيتش، ألف ورقة أفضل: إنها تزيل الاحتقان، سأقول لك... كح، كح، آه، يا إلهي! ما رأيك، يا عزيزتي؟ كح، كح! آه، يا إلهي! كح-كح-كح! وإذن ربما الألف ورقة أفضل، أليس كذلك؟ كح-كح-كح! آه! كح-كح...».

أجابته زوجته:

- «أظن أنه لا بأس من أن تجرب هذا العلاج.

- نعم، لا بأس! من يدري، قال لي، قد يكون عندك سل، كح-كح! أنا قلت له: النقرس والتهاب المعدة، كح-كح! ما رأيك، كح-كح... ما قولك، يا عزيزتي، إن كان السل؟

- آه! يا إلهي، ماذا تقول هنا؟

- أجل، السل! من الأفضل لك يا عزيزتي أن تخلعي ملابسك وأن تضطجعي على السرير... كح-كح! أنا اليوم... كح... مصاب بالزكام».

قال إيفان:

- «أوف! أرجوك، تنحَّ قليلاً!

- لا أفهم قطعاً ماذا دهاك، ألا تستطيع، أخيراً، أن تلتزم الهدوء؟

- أنت فظ معي، أيها الشاب، تريد أن تجرحني، فيما أرى. أنت بلا شك هو عاشق هذه المرأة؟

- اخرس!

- لا، لن أخرس! لا أسمح لك أن تأمرني! هه، أنت العاشق دون أدنى شك؟ لو ضبطنا، أنا لم أفعل شيئاً، لا أعرف شيئاً».

قال الشاب وهو يصر بأسنانه:

- «إذا لم تصمت، سأقول إنك أنت الذي جررتني، سأقول إنك عمي، الذي يفسق، ويبدد ثروته. وهكذا، على الأقل، لن يعتبروني عاشق هذه السيدة.

- سيدي العزيز، أنت تسخر مني. إنك تفقدني صبري.

- شُت! أو سأخرسك بالقوة! أنت سبب مصيبتي! هلا قلت لي ماذا تفعل هنا؟ لو لم تكن معي، لبتّ ليلتي تحت السرير، حتى الصباح، ثم لخرجت.

- ولكن أنا لا أستطيع قضاء الليل هنا حتى الصباح، أنا رجل معقول، ولدي، بالطبع، علاقات... ماذا تظن، هل تراه سيقضي الليل هنا؟

- من هو؟

- ولكن، هذا الرجل العجوز...

- طبعاً سيقضي الليل هنا. ليس جميع الأزواج مثلك. إنهم ينامون أيضاً في بيوتهم».

صاح إيفان أندرييفيتش، متجمداً رعباً:

- «سيدي العزيز، سيدي العزيز! أؤكد لك أنني، أنا أيضاً، أنام في بيتي، وأنا هنا، للمرة الأولى، ولكن، يا إلهي، أرى أنك تعرفني. من أنت إذن، أيها الشاب؟ قل لي حالاً، أرجوك، قل لي، بحق الصداقة الخالصة، من أنت إذن؟

- اسمع، سأستعمل العنف...

- ولكن اسمح لي، يا سيدي، دعني أشرح لك كل هذه القضية القذرة...

- لا أسمع أي شرح! لا أريد أن أعرف شيئاً. اسكت، وإلا...

- ولكنني لا أستطيع على أية حال...».

وتلت ذلك معركة صغيرة، تحت السرير، وصمت إيفان أندرييفيتش.

- «عزيزتي، يبدو كأن هناك قططاً تموء؟

- قطط؟ ماذا سوف تخترع أيضاً؟».

كان من الواضح أن الزوجة لا تعرف كيف تقول لزوجها. كانت قد تلقت صدمة وما زالت لم تتعافَ منها.

وفي هذه المرة ارتجفت وأرهفت سمعها.

- «قطط؟ أية قطط؟

- نعم، قطط، يا عزيزتي. حين دخلت، منذ قليل، وجدت فاسكا في مكتبي وهي تموء: شيو، شيو، شيو! فقلت لها: ما

بك، يا فاسينكا؟ وبدأت تموء من جديد: شيو، شيو، شيو! ولم تكف، هكذا، عن المواء. وعندئذ فكرت: يا إلهي! ألا تعلن موتي بهذا المواء؟

- ما هذه الحماقات، التي تقولها اليوم؟ ألا تخجل، يا عزيزي، هيا.

- حسناً، لا يهم، لا تغضبي، يا عزيزتي، أرى أنك سوف تحزنين لو مت، لا تغضبي، يا عزيزتي، أردت فقط أن أقول شيئاً. ولكن ينبغي أن تخلعي ملابسك، يا عزيزتي، وأن تستلقي على السرير، وأنا، سأبقى جالساً هنا عندما تنامين...

- بالله عليك، كفى، فيما بعد...

- هيا، لا تغضبي، لا تغضبي! ولكن، صحيح، يبدو كأن هنا فئران.

- هيا، طيب، بعد القطط الفئران، الآن! حقاً، لا أدري ماذا دهاك.

- طيب، لا شيء، أنا لا... كح! لا أقول شيئاً، كح-كح-كح-كح! آه، يا إلهي! كح-كح!».

همس الشاب:

- «أترى؟ أكثرت من الحَراك، حتى سمع هو نفسه.

- لو عرفت ما جرى لي. أنفي ينزف.

- انزف وابقَ صامتاً، اصبر حتى يمر. انتظر حتى يذهب.

- أيها الشاب، ضع نفسك في مكاني قليلاً: لا أعرف حتى مع من أنا مضطجع.

- هل ستكون أفضل حالاً إذا عرفت، أو ماذا؟ أنا، لا يهمني اسمك. وإذن، ما اسمك؟

- آه، لا يهم الاسم بتاتاً، أحاول فقط أن أشرح لك بأية طريقة غبية...

- شُت، إنه يتكلم من جديد.

- حقاً، يا عزيزتي، هذا همس.

- بل كلا، إنه القطن غير موضوع جيداً في أذنيك.

- آه! على ذكر القطن. أتدرين، في الطابق الأعلى...

كح-كح... في الطابق الأعلى كح-كح-كح... إلخ».

همس الشاب:

- «في الطابق الأعلى! آه، اللعنة! ولكنني كنت أظن أننا هنا في الطابق الأخير، ليس إذن إلا الأول؟».

تمتم إيفان أندرييفيتش منتفضاً:

- «أيها الشاب، ماذا تقول؟ بحق السماء، لماذا يهمك هذا؟ أنا أيضاً، كنت أظن أننا في الطابق الأخير. يا إلهي، هناك إذن طابق آخر أيضاً؟».

قال العجوز الذي كفّ عن السعال:

- «في الحقيقة، ثمّة شيء يتحرك».

همس الشاب وهو يشدّ على يدي إيفان أندرييفيتش:

- «شُت! أتسمع؟

- سيدي العزيز، إنك تستعمل العنف معي، أطلق يدي.

- شُت...».

نشبت معركة صغيرة ثم ران الصمت.

بدأ العجوز يقول:

- «وإذن، قابلت عندئذ شابة جميلة. . .».

قاطعته زوجته:

- «أية شابة جميلة؟

- تعرفين ذلك جيداً. . . قلت لك من قبل إنني التقيت بسيدة جميلة على السلم أم نسيت؟ تعرفين أن في ذاكرتي ثقوباً. إنها الألف ورقة. . . كح!

- كيف؟

- . . . الألف ورقة التي علي أن أتناولها، يقال إنها مفيدة للعلاج. . . كح-كح-كح! . . . مفيدة للشفاء».

همس الشاب وهو يصر بأسنانه من جديد:

- «أنت الذي صادفتها».

سألت الزوجة:

- «قلت إنك التقيت اليوم بامرأة جميلة؟

- هيه؟

- السيدة الجميلة، التي تقابلت معها؟

- من هذا؟

- ولكنه أنت!

- أنا؟ متى كان هذا؟ آه، نعم! ماذا كنت أقول. . .».

تمتم الشاب، شاحذاً ذهنياً ذاكرة العجوز النسّاء:

- «وأخيراً! يا له من مومياء! هيا تكلم إذن!

- سيدي العزيز! إنني أرتعش خوفاً. يا إلهي! ماذا أسمع؟ كما بالأمس! قطعاً، أجل، هو الشيء ذاته!

- شُت.
- نعم، نعم، نعم! أذكر- الوقحة! ذات العينين الماكرتين. . . والقلنسوة الزرقاء. . .
- القبعة الصغيرة الزرقاء؟ أي! أي!».
صاح إيفان أندرييفيتش:
- «إنها هي! لديها قلنسوة صغيرة زرقاء. يا إلهي!».
تمتم الشاب، ضاغطاً يدي إيفان أندرييفيتش:
- «هي؟ من هي؟».
قال بدوره إيفان أندرييفيتش:
- «شُت! إنه يتكلم.
- آه، رباه! رباه!
- ولكن، أخيراً، لدى الجميع، قلنسوة صغيرة زرقاء. . . ماذا!».
وتابع العجوز قائلاً:
- «ويا لها من وقحة! تأتي إلى هنا عند أناس من معارفها. نظراتها دائماً ماكرة. ويأتي عند معارفها معارف أيضاً».
قاطعته السيدة:
- «أوف، يا له من أمر مزعج، هيا، ماذا يهمك أنت؟».
وأجاب العجوز مهمهماً:
- «ولكن، طيب، طيب، لا تغضبي! حسناً، لن أقول شيئاً، إذا كنت لا تريدين. يبدو أنك لست في مزاج جيد، هذا المساء. . .».
وفي هذه الأثناء سأل الشاب:

- «ولكن أنت، ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- آه، أرأيت، أرأيت! الآن، يهمك هذا، ومنذ قليل، لم ترد أن تسمع شيئاً!

- آه، ولكن، الأمر عندي سيان! لا تقل شيئاً، أرجوك! آه، يا إلهي، يا لها من قصة!

- أيها الشاب، لا تغضب، لا أعرف ما أقول، لم أقصد شيئاً، كنت أريد أن أقول فقط إنه ليس من قبيل المصادفة أن يؤثر فيك هذا إلى حدّ بعيد. . . ولكن من أنت أيها الشاب؟ أرى أنك مجهول هنا، ولكن من أنت، أيها المجهول؟ اللعنة، لا أعرف ماذا أقول!».

قاطعه الشاب الذي كان يبدو مستغرقاً في التفكير:

- «دعني، أرجوك!

- ولكنني سوف أقول لك كل شيء، كل شيء. ربما تظن أنني لا أريد أن أقول لك شيئاً، وأنني أبغضك، كلا! أقسم لك بشرفي! أنا فقط مرتبك، هذا كل شيء. ولكن، بحق السماء، قل لي كل شيء من البداية: أية مصادفة ساقتك إلى هنا؟ أما أنا، فلا أكنّ لك بغضاً، حقاً، أنا لا أبغضك، إليك يدي. إنما، هنا، غبار كثير، وقد لوثتها قليلاً، ولكن هذا لا ينقص شيئاً من نبالة القلب.

- إيه، دعني من يدك! لا مكان هنا للالتفات، وهو يضايقك بيده!».

تمتم إيفان أندرييفيتش، في نوبة يأس ذليل، وبصوت ينم عن التوسل:

- «ولكنك، يا سيدي العزيز، تعاملني، كما لو كنت، عذراً على هذا التعبير، مثل نعل قديم، عاملني بقليل من الاحترام، وسأعترف لك بكل شيء! ونستطيع أن نصير صديقين وأنا مستعد حتى أن أدعوك إلى العشاء عندي. لا نستطيع أن نبقى منبطحين معاً هكذا، أقول لك هذا بصراحة. أنت مخطئ، أيها الشاب! إنك لا تعرف...».

همس الشاب، المرتاب إلى أقصى حدّ بشكل واضح:

- «متى استطاع أن يقابلها إذن؟ لعلها تنتظرني في هذه اللحظة... يجب أن أخرج من هنا قطعاً!

- هي؟ من، هي؟ رباه! عمن تتكلم إذن أيها الشاب؟ تظن أن هناك، في الطابق الأعلى... رباه، رباه، أي ذنب جنيت إذن؟».

حاول إيفان أندرييفيتش أن ينقلب على ظهره فلم يستطِع.

- «وأنت، ماذا يعنيك أن تعرف من هي؟ آه، اللعنة! ليكن ما يكون، سأخرج من هنا!».

تمتم إيفان أندرييفيتش، متشبثاً، في نوبة من اليأس، بطرف معطف جاره:

- «سيدي العزيز، ماذا تقول؟ وأنا، ماذا سيحصل لي عندئذ؟

- وماذا يهمني؟ ما عليك إلا أن تبقى وحدك. وإذا لم تشأ، طيب، أظن أنني سأقول إنك عمي، بددت ثروتك، حتى لا يظن العجوز أنني عشيق زوجته».

همس إيفان أندرييفيتش بيأس:

- «ولكن هيا، أيها الشاب، هذا مستحيل، ليس من الطبيعي، الحديث عن العم. لن يصدقك أحد. طفل كبير من هذا القبيل لن يصدقك.

- وإذن، كفى ثرثرة، وابقَ هنا، هادئاً، تماوت! ما عليك إلا أن تقضي الليل هنا، وغداً ستجد وسيلة للخروج، لن ينتبه إليك أحد، لو خرج واحد من هنا، لن يخطر على أي بال أن هناك شخصاً ثانياً. ولم لا دزينة! في الواقع، أنت وحدك تساوي دزينة. تنحَ قليلاً، وإلا سوف أخرج!

- أنت تسخر مني، أيها الشاب... وإذا ما سعلت؟ يجب أن تتوقع الأسوأ!

- شُت!».

تمتم العجوز، الذي كان يبدو غافياً:

- «ماذا يجري؟ كأنهم بدأوا الحَراك من جديد هناك أعلى.

- هناك أعلى؟

- أتسمع، أيها الشاب، هناك أعلى!

- آه نعم، أسمع!

- يا إلهي! أيها الشاب، سأخرج.

- وإذن أنا، لن أخرج! لا يهمني! ما دام خاب كل شيء، الأمر لا يعنيني! وأنت، أتعلم ماذا أظن؟ أظن أنك زوج مخدوع، هو ذا أنت...

- يا إلهي، ما هذه السخرية! أتظن حقاً؟ ولماذا زوج بالذات؟ أنا غير متزوج.

- كيف غير متزوج؟ قل هذا لغيري!

- قد أكون أنا نفسي العاشق!

- أي عاشق جميل!

- سيدي العزيز، سيدي العزيز! حسناً، سأحكي لك كل شيء. فأصخ السمع ليأسي. ليس أنا، أنا غير متزوج. أنا أعزب، مثلك تماماً. إنه صديقي، رفيق الطفولة... وأنا، عاشق... قال لي: أنا رجل منكود الحظ، شربت كأس المرارة، قال لي، إنني أشك في زوجتي. ولكنني، قلت له كرجل حس سليم: لماذا تشك فيها؟ ولكنك لا تصغي إلي. استمع، استمع! إن الغيرة أمر مثير للسخرية، قلت له، إن الغيرة رذيلة! كلا، قال لي، أنا منكود الحظ! شربت زوجتي... أوه... كلا... أنا أشك في الكأس... فقلت له إذن: أنت صديقي، أنت رفيق طفولتي. قطفنا معاً أزهار الملذات. وغرقنا في أسرَّة المسرة الوثيرة. يا إلهي، لم أعد أعرف ما أقول. ولكنك لا تكف عن الضحك، أيها الشاب، ستفقدني عقلي.

- ولكنك بالفعل، مجنون!

- نعم، نعم، توقعت أن تقول ذلك... عندما تكلمت عن المجنون. اضحك، اضحك، أيها الشاب! هكذا أنا أيضاً ازدهرت في وقتي، هكذا أنا أيضاً، أغويت. آه! أنا على وشك أن أصاب بسكتة دماغية!».

همهم العجوز:

- «ما هذا، يا روحي، كأن أحداً عطس عندنا؟ أأنت، التي عطست، يا روحي؟».

وتنفست زوجته الصعداء:

- «آه، يا إلهي!».

وسمع من تحت السرير:

- «شُت!».

فلاحظت الزوجة، خائفة، إذ سمع فعلاً ضجيج، تحت السرير:

- «هناك أعلى، دون شك، ضوضاء».

تمتم الزوج:

- «نعم، هناك أعلى، هناك أعلى! ألم أقل لك إنني التقيت بغندور صغير، كح! كح! غندور صغير، بشاربيه الصغيرين، كح! كح! آه، يا إلهي، ظهري! غندور صغير، قابلته اليوم، بشاربين صغيرين!».

همس إيفان أندرييفيتش:

- «شاربان صغيران! يا إلهي، ولكنه أنت، من دون شك.

- يا إلهي، يا له من رجل! ولكنني هنا، أنا منبطح معك، هنا! فكيف يمكنه أن يقابلني؟ ثم كف عن الإمساك بوجهي!

- يا إلهي، سيغمى علي».

وفي هذه اللحظة، كان يسمع بالفعل ضجيج، هناك أعلى.

همس الشاب:

- «ماذا يمكن أن يكون؟

- سيدي العزيز! أنا أشعر بالفزع، بالرعب! أغثني.

- شُت!

- صحيح، يا روحي، هناك ضجيج: إنه شجار، نعم. وتماماً فوق غرفتك. هلّا نرسل من يسأل؟

- كلا! ماذا ستخترع أيضاً؟

- حسناً، لن أفعل شيئاً. أنت حقاً في مزاج سيئ، هذا المساء!

- آه، يا إلهي، ينبغي عليك أن تذهب لتنام!

- ليزا! أنت لا تحبينني.

- بل أحبك! بحق السماء، أنا مرهقة جداً.

- طيب، طيب، أنا ذاهب».

صاحت زوجته:

- «آه، لا، لا، لا تذهب. أو بالأحرى، اذهب، اذهب!

- ولكن، ماذا جرى لك، حقاً؟ تارة اذهب، وتارة أخرى لا تذهب! كح-كح! نعم، علي أن أذهب للنوم... كح-كح! إن بُنيّة بانافيدين... كح-كح! بانافيدين... كح-كح! قد توصلت بدمية من نوريمبيرغ... كح-كح!

- حسناً، لم يكن ينقصنا إلا الدمى!

- كح-كح! جميلة جداً، هذه الدمية، كح-كح!».

تمتم الشاب:

- «إنه يودعها، سيذهب، ونحن أيضاً، يمكننا أن نخرج. أتسمع؟ ابتهج!

- آه، ليستجب لك الرب! ليستجب لك الرب!

- ليكن هذا درساً لك...

- أيها الشاب، لماذا هذا الدرس؟ إنني أحس بذلك، لكنك ما زلت شاباً، لا يمكنك أن تعطيني دروساً.

- ومع ذلك سأعطيك درساً، اسمع.

- رباه! لدي رغبة في السعال!

- شُت! إلا إذا كنت تجرؤ. . .

- ولكن ماذا تريد أن أفعل؟ مع رائحة الفأر هذه التي هي منتشرة هنا، لا أستطيع مقاومتها، ناولني منديلي، من جيبي، أرجوك، لا أستطيع حَراكاً. . . رباه، رباه، ماذا تراني جنيت إذن؟

- إليك منديلك! سأقول لك ماذا جنيت! أنت غيور. يعلم الله بناء على ماذا، تركض مثل أحمق، تقتحم أي مسكن، وتثير الاضطراب. . .

- أيها الشاب! لم أثر أي اضطراب.

- اصمت!

- أيها الشاب، لست أنت الذي يعظني بالأخلاق، أنا أخلاقي أكثر منك.

- اخرس!

- آه، رباه، رباه!

- أنت تنشر الفوضى في كل مكان. إنك تفزع امرأة شابة، ضعيفة، وخجول، سيدة لا تعرف كيف تغدو من الرعب، والتي ستمرض من ذلك، إنك تزعج عجوزاً كريماً، مصاباً بالبواسير، والذي يحتاج إلى الراحة قبل كل شيء، وكل ذلك من أجل ماذا؟ لأنك تتخيل ما لا أدري من الهراء الذي يدفعك إلى الركض في كل الجهات! هل تفهم، هل تدرك، ما هو الوضع الرهيب الذي حشرت نفسك فيه؟ هل تحس بذلك؟

- سيدي العزيز، نعم! أحس به، ولكن لا يحق لك. . .

- اخرس! عن أي حق تتحدث! أتدرك أن كل ذلك يمكن أن تكون له نتائج مأساوية؟ أتفهم أن هذا العجوز الذي يحب زوجته يمكن أن يفقد رشده حين يراك خارجاً من تحت السرير؟ بل كلا، أنت غير قادر على خلق مأساة! عندما ستخرج وأنت تدب على أربع، أتصور أن كل من يراك سينفجر بالضحك. أودُّ كثيراً أن أراك على ضوء الشموع: لا بد أن تكون مضحكاً للغاية.

- وأنت؟ أنت أيضاً ستكون مثيراً للسخرية في مثل هذه الحالة! أريد أن أراك، أنا كذلك.

- أنت، أف لك!

- أنت حقاً مطبوع بختم الفجور، أيها الشاب!

- آه! أنت تتكلم عن الفجور! وكيف تعرف لماذا أنا هنا؟ أنا هنا بالخطأ: فقد أخطأت الطابق. يعلم الشيطان لماذا سمحوا لي بالدخول! أو لعلها فعلاً كانت تنتظر أحداً (ليس أنت، طبعاً). وقد اختبأت تحت السرير حين سمعت خطواتك الخرقاء، ولما رأيت السيدة خائفة. وفوق ذلك، كان الظلام حالكاً. وهل أنا في حاجة إلى تبرئة نفسي أمامك؟ إنك، يا سيدي العزيز، عجوز غيور ومضحك. أتدري، لماذا لا أخرج؟ تعتقد ربما أنني خائف من الخروج؟ كلا، يا سيدي العزيز، كان يمكنني أن أخرج منذ مدة طويلة، ولكنني بقيت هنا رأفة بك. هيا، قل لي، ماذا كنت ستفعل من دوني، هنا؟ سوف تقف هنا، أمامهما، جامداً، كما الخشبة، وستظل مشدوهاً، لا تعرف ما تقول...

- آه كلا: لماذا كالخشبة؟ لماذا مثل هذه الأداة الجامدة؟ ألا تستطيع أن تقارنني بشيء آخر، أيها الشاب؟ كيف لا أعرف ما أقول؟ بل سأعرف ما أقول... آه، يا إلهي، ما أشد نباح هذا الكلب الصغير!

- شُت! آه، ولكن هذا صحيح... هذا لأنك لا تكف عن الثرثرة. أرأيت، لقد أيقظت الكلب الصغير. ها نحن طازجان، الآن».

وبالفعل، فإن كلب السيدة الصغير، الذي كان حتى ذلك الحين نائماً في زاوية فوق وسادته، قد استيقظ فجأة، فشم رائحة غرباء، وارتمى وهو ينبح تحت السرير.

همس إيفان أندرييفيتش:

- «آه، يا إلهي، يا للكلب الصغير الغبي! سيفضحنا معاً. سيكشف عن كل شيء. آه، يا له من عقاب آخر!

- أجل، أنت خواف كثيراً حتى إن كل هذا يمكن أن يقع».

صاحت السيدة:

- «آمي، آمي، تعال إلى هنا![15] إلى هنا، إلى هنا!».

ولكن الكلب، بدلاً من أن يطيع الأمر، دب مباشرة إلى إيفان أندرييفيتش.

سألها العجوز:

- «ما بال آميشكا ينبح، يا عزيزتي؟ ثمّة فئران، دون شك، أو لعلها الهرة، فاسكا، التي رأتها هناك. أنا أيضاً سمعتها تسعل باستمرار، فاسكا، اليوم، مصابة بزكام».

همس الشاب:

- «ابقَ هادئاً، لا تتحرك! سوف يدعك سريعاً.
- سيدي العزيز! سيدي العزيز! اترك يدي! لماذا تمسك بهما؟
- شُت! اسكت!
- ولكن عذراً، أيها الشاب! إنه يعض أنفي. أتريد أن أفقد أنفي؟».

ونشب صراع جديد، وحرر إيفان أندرييفيتش يديه. واشتد نباح الكلب، ثم انقطع فجأة نباحه وأعقبه أنين حاد.

صاحت السيدة:

- «آه! كلا!».

وتمتم الشاب:

- «وحش! ماذا تفعل؟ سوف تهلكنا نحن الاثنين! لماذا تقبض عليه؟ يا إلهي، إنه يخنقه! لا تخنقه، دعه! أيها الوحش! أنت لا تعرف قلب المرأة بعد صدمة كهذه! سوف تسلمنا، إذا خنقت كلبها الصغير».

ولكن إيفان أندرييفيتش لم يكترث بشيء. كان قد نجح في القبض على الكلب، وفي ردة فعل دفاعي، لوى عنقه وخنقه. أطلق الكلب صرخة أخيرة وأسلم الروح.

همس الشاب:

- «لقد قضي علينا!».

صاحت السيدة من جديد:

- «آميشكا! آميشكا! يا إلهي، ماذا فعلوا بكلبي الصغير

آميشكا؟ آميشكا! آميشكا! تعال إلى هنا! !Ici آه، يا للوحوش! البرابرة! رباه! سيغمى علي!».

صاح الزوج العجوز واثباً من أريكته:

- «ماذا هناك؟ ماذا هناك؟ ما لك، يا عزيزتي؟؟»

صاح العجوز مطقطقاً بأصابعه ولسانه ليخرج آميشكا من تحت السرير:

- «آميشكا تعال إلى هنا! آميشكا! آميشكا! آميشكا! إلى هنا! إلى هنا! !Ici! Ici من المستحيل أن تكون فاسكا قد افترسته هكذا! يجب أن تجلد فاسكا، يا عزيزتي، منذ شهر لم تجلد هذه الهرة الماكرة. ما رأيك في ذلك؟ سوف أستشير غداً براسكوفيا زاخاريفنا. ولكن، يا إلهي، ماذا جرى لك، يا عزيزتي؟ أنت شاحبة تماماً! مهلاً! مهلاً! يا ناس! يا ناس!».

وأخذ العجوز يذرع الغرفة جيئة وذهاباً!

بينما كانت السيدة تصيح منهارة على السرير:

- «الأوغاد! الوحوش!».

وصاح العجوز:

- «من هؤلاء؟ من هم؟ من إذن؟

- هناك أناس هنا، غرباء... هنا، هنا، تحت السرير! آه، يا إلهي! آميشكا! آميشكا! ما فعلوا بك؟

- آه، يا إلهي! ناس! أي ناس؟ آميشكا! كلا، يا ناس، يا ناس! يا من هنا!».

كان العجوز يصيح ممسكاً بشمعدان ومنحنياً تحت السرير:

- «من هنا؟ من هناك؟ يا ناس! يا ناس!».

كان إيفان أندرييفيتش ممدداً بين الحياة والموت، بقرب الجثة الهامدة لآميشكا. ولكن الشاب كان يراقب أي حركة من حركات العجوز. وفجأة رآه يمر إلى الجهة الأخرى من السرير، نحو الجدار، وينحني. وفي لمح البصر، انبثق الشاب من السرير، وانطلق راكضاً، بينما كان الزوج باحثاً عن الدخلاء من الجانب الآخر لفراش الزوجية.

همست السيدة وهي تحملق في الشاب:

- «يا إلهي! من أنت إذن؟ أنا التي كنت أظن...».

همس الشاب:

- «الوحش الآخر ظلَّ هنا، هو المتسبب في وفاة آميشكا!».

وتأوهت المرأة:

- «آه! يا إلهي!».

ولكن الشاب كان قد اختفى من الغرفة.

صاح الزوج وهو يمسك بساق إيفان أندرييفيتش:

- «أي! هناك أحد هنا. إنني أرى جزمة!».

وصاحت السيدة:

- «قاتل! قاتل! آه، آمي! آمي!».

هتف العجوز وهو يضرب السجاد برجليه:

- «اخرج من هناك! اخرج من هناك! اخرج، من أنت؟ قل لي من أنت؟ يا إلهي، أي رجل غريب!

- ولكنهما لصان!».

صاح إيفان أندرييفيتش وهو يخرج حبواً:

- «بحق السماء! بحق السماء! بحق السماء! يا صاحب السعادة، لا تدعُ ناسك! يا صاحب الفخامة، لا تنادِ الناس! لا داعي لذلك مطلقاً! لا يمكن لك أن تطردني! لست أنا الرجل الذي تظن! أنا شخصية هامة... يا صاحب الفخامة، عن طريق الخطأ إنما حدث هذا! سأشرح لك كل شيء حالاً، يا صاحب السعادة».

وتابع إيفان أندرييفيتش زافراً ناخراً:

- «كل هذا بسبب الزوجة، يعني لا، ليست زوجتي، ولكن زوجة رجل آخر، أنا لست متزوجاً، أنا... بحسب ما... هو صديقي ورفيق طفولتي...».

صاح العجوز وهو يضرب الأرض بقدميه:

- «كيف، رفيق الطفولة! أنت لص، جئت لتسرق... لا رفيق طفولة...

- لا، لست لصاً، يا صاحب السعادة، فعلاً أنا رفيق طفولة... كان مجرد خطأ، من دون قصد، أخطأت الباب.

- نعم، أرى، يا سيد، أرى هذه المتاهة التي ستخرج منها.

- صاحب السعادة! لست كما تظن. أنت مخطئ. أقول إنك مخطئ تماماً، يا صاحب الفخامة. ألقِ نظرة علي، انظر إلي، سترى علامات، وسمات، تدل على أنني لا يمكن أن أكون لصاً. صاحب الفخامة! صاحب السعادة!».

كان إيفان أندرييفيتش يتأوه ضاماً يديه كما في قيامه للصلاة، ويتجه بكلامه إلى السيدة الشابة:

- «أنت سيدة، افهميني... أنا الذي أهلكت آميشكا...
ولكن ليس ذنبي، صدقيني، ليس خطئي... كل ذلك، كان ذنب زوجتي: أنا منكود الحظ، شربت الكأس المرة!

- ولكن، يا إلهي، ماذا تريدني أن أفعل لك، إن كنت شربت الكأس المرة؟ ويمكن أن تكون شربت أكثر من كأس مرة، على ما يبدو واضحاً من حالتك، لكن، كيف دخلت إلى هنا، يا سيدي العزيز؟».

وصاح العجوز مضطرباً من الانفعال، ولكنه كان مقتنعا بالفعل، من علامات وسمات مختلفة، بأن إيفان أندرييفيتش لا يمكن أن يكون لصاً:

- «إنني أسألك: كيف دخلت إلى هنا؟ مثل سارق...

- لست سارقاً، يا صاحب السعادة. أخطأت الباب فقط، صدقني، لست لصاً! وكل هذا، لأني غيور. سأشرح لك كل شيء، يا صاحب الفخامة، كل شيء بصراحة، كما لوالدي، لأنك باعتبار سنك يمكن أن تكون حقاً في مقام أبي.

- كيف ذلك، باعتبار سني؟

- صاحب السعادة! قد أكون جرحتك؟ حقاً، سيدة في زهرة الشباب... وأنت، في مثل هذه السن... من دواعي السرور، من المفرح حقاً، أن يرى المرء زواجاً مثل زواجك... في زهرة العمر، ولكن، لا تدعُ ناسك... بحق السماء، لا تنادِ الناس... كل ما سيفعله الناس، هو أن يضحكوا... إنني أعرفهم... يعني، أقصد أنني أعرف خدم المنزل، أنا أيضاً، لدي خدم، يا صاحب الفخامة، يضحكون

دائماً... إنهم حمير، يا صاحب السمو، لا أظنني مخطئاً، إنني أتكلم إلى أمير...

- لا، ليس إلى أمير، يا سيدي العزيز، أنا من أنا. أرجوك، لا تحاول أن تتملقني بلقب صاحب السمو. كيف دخلت إلى هنا. يا سيد، كيف؟

- صاحب السمو، أقصد، يا صاحب السعادة... معذرة، كنت أظن أنك صاحب السمو. أسأت النظر... أسأت التفكير، هي أشياء تحدث. إنك تشبه كثيراً الأمير كوروتكوؤوخوف، الذي تشرفت برؤيته عند أحد أصدقائي، السيد بوزيريوف... أترى، أنا أيضاً، عرفت أمراء، أنا أيضاً، رأيت أميراً عند صديقي، لا يمكنك أن تعتبرني إذن ذلك الشخص الذي تظن. أنا لست لصاً. يا صاحب السعادة، لا تدعُ ناسك. وإذا ناديت ناسك، ماذا سيحدث؟».

صاحت الزوجة:

- «ولكن كيف دخلت إلى هنا؟ من أنت إذن؟».

وتابع الزوج:

- «نعم، من أنت؟ وأنا، يا عزيزتي، الذي كنت أظن أن قطتنا فاسكا هي التي كانت تحت السرير وهي التي كانت تسعل! بينما كان هو. آه، يا لك من فاجر! من أنت؟ هيا تكلم إذن!».

وأخذ الشيخ يضرب السجاد برجليه.

- «لا أستطيع أن أتكلم، يا صاحب السعادة. أنتظر أن تنهي كلامك... إنني أصغي لمزحك اللطيفة. أما فيما يتعلق بي، فإنها قصة مضحكة، يا صاحب الفخامة. سوف أحكي لك

كل شيء. وسوف يتضح كل شيء حتى دون ذلك، يعني، أريد أن أقول، لا تدعُ ناسك، يا صاحب السعادة! عاملني برحابة صدر... ليس مهماً، أنني كنت تحت السرير... أنا لم أفقد كرامتي حتى الآن. إنها قصة هزلية جداً، يا صاحب السعادة!».

وصاح إيفان أندرييفيتش متوجهاً بكلامه إلى الزوجة مغرورق العينين بالدموع:

- «أنت على الأخص، يا صاحبة السعادة، سوف تنفجرين ضحكاً منها! انظري، أمامك زوج غيور. أترين، إنني أذل نفسي، طوعاً أذل نفسي. وطبعاً أنا قاتل آميشكا، ولكن، يا إلهي، لم أعد أعرف ما أقول!

- ولكن كيف، كيف وصلت إلى هنا؟

- مستفيداً من ظلمة الليل، يا صاحب الفخامة! مستعيناً بهذا الظلام... معذرة، مغفرة، يا صاحب السعادة! أطلب منك الصفح، بكل تواضع! ما أنا إلا زوج مهان، ولا شيء أكثر! لا تظن، يا صاحب الفخامة، أنني عاشق، لست عاشقاً! إن زوجتك فاضلة جداً، إذا جاز لي أن أعبّر هكذا. إنها طاهرة وبريئة!».

صاح العجوز وهو يخبط الأرض برجليه من جديد:

- «ماذا؟ كيف؟ ما الذي تجرؤ على قوله؟ أأنت أحمق أم ماذا؟ كيف تجرؤ على الكلام عن زوجتي؟».

وصرخت الزوجة الشابة منخرطة في البكاء:

- «إنه هو، الوحش، المجرم قاتل آميشكا! إنه لا يزال يجرؤ!».

صاح إيفان أندرييفيتش مذعوراً مرة أخرى:

- «صاحب السعادة! صاحب الفخامة! قلت فقط كلاماً غبياً! ارتكبت حماقة، ولا شيء أكثر! اعتبرني أحمق... بحق السماء، اعتبرني مجنوناً... أقسم لك، بشرفي، إنك تسدي إلي خدمة. أودُّ أن أمد يدي لك، لكنني لا أجرؤ... لم أكن وحيداً، أنا العم... يعني، أريد أن أقول لا ينبغي اعتباري عاشقاً... يا إلهي! مرة أخرى أقول حماقات...».

وصاح إيفان أندرييفيتش متجهاً بكلامه إلى السيدة:

- «لا تغضبي، يا صاحبة السعادة. أنت سيدة، تفهمين ما معنى الحب... إنه شعور رقيق... ولكن ماذا أقول؟ حماقات، دائماً! يعني، أريد أن أقول إنني رجل مسن، ليس عجوزاً، لا يمكن أن أكون عشيقاً لك، العشيق، هو ريشاردسون، لا، أريد أقول إنه لوفلاس... إنني لا أتفوه إلا بحماقات، ولكن، أترى، يا صاحب الفخامة، إنني عالم وأنا أعرف الأدب. أنت تضحك، يا صاحب السعادة! كم أنا سعيد، سعيد جداً، بأن {أثير} ضحك سعادتك. آه كم أنا سعيد بإثارة ضحكك!».

صاحت الزوجة مختنقة بالضحك:

- «يا إلهي! كم هو مضحك، هذا الرجل!».

وأجاب الزوج، مغتبطاً بأن يرى زوجته ضاحكة:

- «نعم، إنه مثير للسخرية حقاً وقذر أيضاً. إنه يا عزيزتي، لا يمكن أن يكون لصاً. ولكن كيف إذن دخل إلى هنا؟

- غريب حقاً! غريب فعلاً، يا صاحب السعادة، يبدو هذا

كأنه رواية! كيف؟ في ظلمة منتصف الليل، في عاصمة كبيرة، رجل تحت السرير؟ إنه أمر مضحك، شيء غريب! من رينالدو رينالديني[16]، على نحو ما.

ولكن هذا ليس شيئاً، كل ذلك لا شيء، يا صاحب الفخامة. سوف أحكي لكم كل شيء. . . وأنت، يا سيدتي، يا صاحبة السعادة، سوف أقتني لك كلباً آخر، جرواً طويل الوبر، جرواً جميلاً! هكذا، طويل الشعر، قصير القوائم، غير قادر على المشي خطوتين، يجري، فيمسك شعره الكثيف بقوائمه ويسقط. لا يأكل إلا السكر. سوف آتيك به، يا صاحبة السعادة، بالتأكيد، سأحمله إليك».

كانت الزوجة تهتز كلها من الضحك فوق أريكتها:

- «ها-ها-ها-ها! يا إلهي، سيصيبني بنوبة هستيرية. أوه، يا له من رجل مضحك!

- نعم، نعم، ها-ها-ها! كح-كح-كح! نعم، مضحك وقذر جداً، كح-كح-كح-كح!

- صاحب السعادة، صاحب الفخامة، إنني الآن سعيد تماماً! كان في ودّي أن أمد لك يدي، ولكنني لا أجرؤ، يا صاحب السعادة، أشعر أنني كنت على خطأ، ولكنني، الآن، أفتح عيني. أظن، زوجتي طاهرة وبريئة! ارتبت فيها خطأ».

تساءلت السيدة دامعة العينين من شدة الضحك:

- «زوجته، يا إلهي، زوجته!».

وأضاف الزوج:

- «هو متزوج؟ مستحيل! هذا شيء لا يمكن لي أن أتصوره.

- زوجتي، صاحب السعادة، وهي المذنبة في كل شيء، يعني، لا، بل أنا المذنب. كنت أرتاب فيها، علمت أن موعداً كان محدداً هنا - هنا، في الطابق الأعلى. اعترضت سبيل تذكرة طائرة، أخطأت الطابق، وانبطحت تحت السرير...

- هي-هي-هي-هي!

- ها-ها- ها-ها!».

وانفجر إيفان أندرييفيتش يضحك هو بدوره:

- «ها-ها-ها-ها! آه، كم أنا سعيد، آه، كم هو مؤثر أن نكون جميعاً متفقين وفرحين! وزوجتي بريئة تماماً! وهذا، أنا مقتنع به تقريباً. هكذا، تماماً، أليس كذلك، يا صاحب السعادة؟».

وقال العجوز أخيراً عندما استطاع الكف قليلاً عن الضحك:

- «ها-ها-ها! كح-كح-كح!... أتعرفين من هي، يا عزيزتي؟

- لا، ها-ها-ها، من هي؟

- إنها تلك الصغيرة اللطيفة، التي ترنو بشغف، إلى ذلك الشاب المتغندر. إنها هي! أراهن على أنها هي زوجته!

- لا، يا صاحب السعادة، أنا متأكد أنها ليست هي! أنا متأكد تماماً من ذلك».

صاحت السيدة، بعد أن كفت عن الضحك:

- «ولكن، يا إلهي، إنك تضيع الوقت، أسرع، اصعد إلى الطابق الأعلى. ربما تجدهم هناك...

- فعلاً، يا صاحبة السعادة، سأطير إلى هناك. ولكنني لن أجد أحداً هناك، يا صاحبة السعادة، ليست هي، أنا سلفاً متأكد من ذلك. إنها الآن في البيت. إنه أنا! أنا، غيور تماماً، وهذا كل ما في الأمر... ما رأيك، سأجدهم حقاً هناك أعلى، يا صاحب السعادة؟

- ها-ها-ها!

- هي-هي-هي! كح-كح!».

صاحت السيدة:

- «اذهب، اذهب! وعند عودتك، أخبرنا، أو بالأحرى كلا: بل تعال غداً، غداً، واصحبها معك: أريد أن أتعرف إليها.

- إلى اللقاء، يا صاحبة السعادة، إلى اللقاء! سأصحبها من دون شك، سعيد بمعرفتكم. أنا سعيد ومسرور لأن كل شيء قد انتهى بطريقة غير متوقعة وأنه حل على نحو أفضل.

- والكلب الموبر! لا تنسه: احمل لي قبل كل شيء كلباً صغيراً طويل الوبر قصير القوائم!».

أجاب إيفان أندرييفيتش عائداً أدراجه، لأنه كان قد حيّا واتجه نحو الباب:

- «سأحمله، يا صاحبة السعادة، سوف آتي به إليك دون شك، سأحمله إليك بكل تأكيد: جرواً جميلاً جداً: مثل حلوى خارجة من بين يدي حلواني، وسترين: سيتقدم، ثم تشتبك قوائمه بوبره الطويل ويسقط، هكذا تماماً، سترين! كنت أقول لزوجتي: ما هذا، يا عزيزتي، لماذا يسقط دائماً؟ فتقول لي:

نعم، إنه لطيف جداً! يبدو وكأنه سكّرة، يا صاحب السعادة، أؤكد لك، كله من السكر! إلى اللقاء، يا صاحب السعادة، إنني سعيد جداً، جداً، بمعرفتكم، أنا مسرور جداً بمعرفتكم!».

وانحنى إيفان أندرييفيتش وخرج.

وصاح العجوز قائلاً لإيفان أندرييفيتش الذي كان قد خرج:

- «إيه، اسمع، يا سيدي العزيز! انتظر قليلاً، ارجع!».

وعاد إيفان أندرييفيتش للمرة الثالثة.

- «قل لي، لم أستطع العثور على قطتنا... ألم ترها عندما كنت تحت السرير؟

- لا، لا، يا صاحب السعادة، لم أرها، وأنا، فضلاً عن ذلك، مسرور بمعرفتها. وسيكون لي شرف عظيم...

- إنها الآن مصابة بنزلة برد لا تكف عن العطاس. يجب أن تجلد!

- نعم، بالتأكيد، يا صاحب السعادة: إن العقوبات التأديبية ضرورية مع الحيوانات الأليفة.

- كيف؟

- أقول: إن العقوبات التأديبية، يا صاحب الفخامة، ضرورية لغرس الطاعة عند الحيوانات الأليفة.

- آه، طيب، إذن، وداعاً، وداعاً، هذا ما كنت أريد».

عندما خرج إيفان أندرييفيتش إلى الشارع، ظلَّ لحظة طويلة كمن يتوقع أن يصاب بسكتة دماغية. خلع قبعته، مسح العرق البارد الذي يسيل من جبينه، غضن جفنيه، وبدا مفكراً في شيء، وأخيراً سلك الطريق إلى بيته.

كم كانت دهشته عظيمة عندما علم، في منزله، أن غلافيرا بيتروفنا كانت منذ مدة طويلة قد دخلت من المسرح، أنها منذ مدة طويلة تعاني من ألم الأسنان الشديد، وأنها طلبت استدعاء الطبيب، وحتى إحضار العلق، وأنها كانت، الآن، مستلقية فوق سريرها وهي في انتظار إيفان أندرييفيتش.

ضرب إيفان أندرييفيتش جبهته أولاً، ثم طلب الماء للاغتسال والنظافة، ثم أخيراً قرر الدخول إلى زوجته في غرفة النوم.

- «أين إذن قضيت وقتك؟ انظر إلى حالتك، مالك تبدو هكذا؟ وجهك متغير تماماً! أين اختفيت؟ هذا لطيف، يا عزيزي: زوجتك تُحتَضَر، وتبحث عنك عبثاً في المدينة كلها. أين كنت؟ ألم تكن أيضاً تنصب لي فخاً، وتخبط موعداً قد يكون لي مع من لا أعرف؟ من العار، يا عزيزي، أن تكون زوجاً! سيشار إليك قريباً بالبَنان!».

أجاب إيفان أندرييفيتش:

- «يا روحي!».

ولكنه أحس، في هذه اللحظة، بنوع من الإحراج، فاضطر إلى أن يدخل يده في جيبه ليخرج منه منديلاً، ويقاطع الكلام الذي انخرط فيه، لأنه لم تسعفه لا كلماته ولا أفكاره ولا قواه العقلية... وما أشد دهشته ورعبه وذعره عندما رأى سقوط المرحوم آميشكا من جيبه في نفس الوقت مع المنديل؟ ولم يكن إيفان أندرييفيتش قد لاحظ حتى كيف أنه، في غمرة يأسه، عند اضطراره إلى الخروج من تحت السرير، كان قد دسَّ آميشكا،

في سورة غضب لاشعوري، داخل جيبه، آملاً في قرارة نفسه أن يطمس هكذا آثار جريمته وأن يخفي جسمها وأن يفلت بالتالي من العقاب الذي يستحقه.

صاحت زوجته:

- «ما هذا؟ كلب ميت! يا إلهي! من أين...؟ ماذا فعلت...؟ أين كنت؟ قل لي حالاً أين كنت؟».

أجاب إيفان أندرييفيتش وهو يشعر أنه ميت أكثر من آميشكا:

- «عزيزتي! روحي...».

ولكن، هنا، سنترك بطلنا، إلى مرة أخرى، لأن هنا تبدأ مغامرة جديدة، خاصة جداً. ذات يوم سننهي القصة، أيها السادة، بكل هذه المآسي، وهذه العذابات التي أصابه بها القدر. ولكن، لنعترف بأن الغيرة عاطفة جامحة، بل لنقل أكثر من ذلك: إنها كارثة حقيقية!

الهوامش

(1) إينوت: بالروسية هو الراكون أو فروه، بالفرنسية Raton: راتون أو راكون حيوان لَبون شبيه بالدب.
(2) بيكيشا: معطف فرو طويل ضيق على الخصر، أسود اللون غالباً.
(3) فْراك: بذلة سهرة، رسمية، ضيقة وسوداء.
(4) الأخضر القاتم كان لون لباس الموظفين.
(5) قُندُس: «بوبْرْ» بالروسية - كلب ماء، قُندُر.
(6) في اللغة الإدارية والعسكرية نعوت السن تعني اختلاف الرتب.
(7) «أه! هذه أنت؟» بالفرنسية في الأصل: Ah! C'est vous?
وجميع الكلمات الموضوعة بين { } هي بالفرنسية في النصّ الروسي.
(8) Furore: الغضب - بالإيطالية في الأصل.
(9) البورْسِيون والفْريزّولينيون: المعجبون المتعصبون لكل من تيريزا دي جيولي بورسي وإيرمينا فْريزّوليني، مغنيتي الأوبرا الإيطالية في بطرسبورغ خلال موسم 1847-1848.
(10) Bel canto: فن الغناء - بالإيطالية في الأصل.
(11) Prédestiné: مقدّر - بالفرنسية في الأصل.
(12) يقول مثل روسي عن الحظ العاثر: «على رأس المسكين ماكار ينهار حتى جوز الصنوبر».
(13) المسرح الكبير: بولشُويْ موسكو.
(14) Sans faute: بكل تأكيد - بالفرنسية في الأصل.
(15) إلى هنا: بالفرنسية في الأصل: Ici, ici!، وبالروسية: сюда! - سْيودا.
(16) رواية مغامرات لكريستيان فولبيوس، عنوانها رينالدو رينالديني - 1797.

رواية في تسع رسائل

كتبت في ليلة واحدة خلال شهر أكتوبر 1845
ونشرت في مجلة «المعاصر» في شهر يناير 1847

الرسالة الأولى

(من بيوتر إيفانوفيتش إلى إيفان بيتروفيتش)

سيدي العزيز
وصديقي الغالي،
إيفان بيتروفيتش!

هذه ثلاثة أيام مرت وأنا، إذا صح القول، أقتفي أثرك، يا صديقي العزيز، وذلك لأنني في حاجة إلى أن أكلمك في أمر مهم، ولكنني لم أجدك في أي مكان. البارحة، كنا زوجتي وأنا في زيارة عند سيميون أليكسييتش، فمازحتكما زوجتي بالمناسبة، قائلة، إنكما أنت وزوجتك تاتيانا بيتروفنا تشكلان ثنائياً تائهاً كثير الحركة. لم تمر ثلاثة أشهر على زواجكما بعد حتى أهملتما منزلكما العائلي. ضحكنا كثيراً، بكل ما نكنه لكما من ودّ، طبعاً. ولكن، ما عدا المزاح، فإنك، يا صديقي العزيز، جشمتني كثيراً من العناء. قال لي سيميون أليكسييتش: إنك ربما ستكون في الحفل الراقص بنادي الجمعية المتحدة، فتركت زوجتي في بيت سيميون أليكسييتش وطرت الى النادي. إن هناك

ما يضحك وما يسيل الدمع! تصور وضعي: أذهب وحدي إلى حفل راقص دون زوجتي! في البهو، يلتقي بي إيفان أندرايتش، فيستنتج الشقي وهو يلاحظ أنني وحدي، أنني مغرم متيم بالحفلات الراقصة، فيأخذني من ذراعي محاولاً جري نحو مكلَّف بتنظيم الرقص وهو يخبرني أن في «الجمعية المتحدة» يصعب إيجاد مكان للرقص وأن رأسه مثقل من شراب باتشولي وريزيدا. المهم، أنكما لم تكونا بالحفل، لا أنت ولا تاتيانا بيتروفنا.

أقسم لي إيفان أندريتش إنك قد ذهبت لمشاهدة عرض «التعاسة من العقل»[1] في مسرح أليكساندرينسكي. فطرت إلى المسرح. هناك، وفي غيره من الأمكنة، لا وجود لك. هذا الصباح، ظننت أنني سأجدك عند تشيستوغانوف. لا وجود لك. تشيستوغانوف أرسلني عند برينالكين. لا أثر لك هناك أيضاً. وباختصار، وفي كلمة واحدة، لقد أنهكني التعب.

أكتب لك، وليس هناك أية خلفية وراء كتابتي. قضيتي ليست لها علاقة بالأدب (إنك تفهمني)، من الأحسن أن نتفاهم وجهاً لوجه وفي أقرب وقت. أرجوك إذن، أن تأتي عندي اليوم مع زوجتك تاتيانا بيتروفنا لنتناول كأس شاي، ونتحاور في المساء. ستسعد زوجتي أنا ميخائيلوفنا بزيارتكما. حقاً، كما يقال، سأظل مديناً لك حتى القبر. وبالمناسبة، يا صديقي الأعز، وبما أنني أكتب لك، سأذكّرك بحادث وقع بسببك. إنني مجبر على إلقاء اللوم عليك، جزئياً، يا صديقي الغالي، لقد جعلتني ضحية مقلب ظريف خفيف، أيها الشرير، عديم الضمير!

حوالي منتصف الشهر الماضي، أتيت عندي بصحبة أحد أصدقائك، يفغيني نيكولايتش، وأنت توصي به خيراً، وهذه التوصية، بالنسبة إلي، أقدس تزكية. فرِحتُ لهذه الفرصة المتاحة لي كي أكون عند حسن ظنك، ففتحت ذراعي وباب بيتي لصديقك. لم أكن أعلم أنها كانت طريقة لوضع حبل حول رقبتي. يا لها من قضية! ليس لدي الوقت لأشرح لك الآن، وعلى كل حال ليست هذه أشياء تكتب. لكنني، يا صديقي الشرير، أطلب منك أن تلمِّح لصديقك الشاب، بلباقة، كملاحظة بين قوسين، هامساً في أذنه برقة ولباقة أن في العاصمة بيوتاً أخرى غير منزلي. لا طاقة لي، يا صديقي العزيز، أرجوك، أركع عند قدميك، كما يقول صديقنا سيمونيفيتس، حينما سنلتقي، سأحكي لك كل شيء.

ليس لأن هذا الشاب كان سيئ الأدب، أو فيه عيب، كلا، بالعكس! إنه فتى جذاب ومحبوب. لكن، اصبر علي حتى نلتقي لنتكلم في هذا الموضوع. وفي انتظار هذا، إذا التقيته، حاول أن تلمِّح له أن. . . إنك تعرف ماذا، يا صديقي المبجل جداً. كان في إمكاني أن أتولى هذا الأمر بنفسي، ولكنك تعرفني، لن أقوى على اتخاذ القرار. هذا كل ما هنالك، ثم إنك أنت الذي عرّفتني به. وعلى أية حال، هذا المساء، سيمكننا شرح التفاصيل. والآن، مع السلامة، إنني أبقى. . . إلخ.

ملاحظة:

صغيري مريض منذ أسبوع، إن حالته الصحية تزداد سوءاً.

إن أسنانه تؤلمه. زوجتي لا تبرحه لحظة. إنها حزينة، عزيزتي المسكينة. تعال إذن، أنت وتاتيانا لزيارتنا، سنسر بكما، يا صديقي الغالي جداً.

الرسالة الثانية

(من إيفان بيتروفيتش الى بيوتر إيفانوفيتش)

سيدي العزيز بيوتر إيفانوفيتش!

توصلت البارحة برسالتك، فقرأتها ودُهشت. يعلم الله أين بحثت عني، في حين كان عليك، وبكل بساطة، أن تبحث عني في بيتي. كنت، حتى الساعة الثانية، في انتظار إيفان إيفانيتش تولوكونوف. وبعدئذ ركبت أنا وزوجتي عربة أجرة، وكان ذلك مكلِفاً، فوصلت إلى بيتك في حوالي الساعة السادسة والنصف. كنت غائباً! فاستقبلتني زوجتك. انتظرتك حتى العاشرة والنصف، ولم أستطِع الانتظار أكثر من ذلك. اصطحبت زوجتي وركبت عربة أجرة وكانت مكلِفة كذلك. أوصلت زوجتي إلى بيتنا ومضيت أنا إلى عائلة بيريبالكين آملاً أن أجدك هناك. ولكن، هنا أيضاً، كانت حساباتي خاطئة. فرجعت إلى بيتي ولم يغمض لي جفن طوال ليلتي طالما بتّ قلقاً، وفي صباح اليوم التالي، عدت لأطرق بابك من جديد ثلاث مرات متتابعة: في الساعة التاسعة والعاشرة والحادية عشرة. وتضاعفت التكلفة

ثلاث مرات للنقل بالعربات، ومن جديد عدت {بخفي حنين}.
دهشت، إذن، وأنا أقرأ رسالتك. حدثتني عن يفغيني نيكولاييتش، وطلبت مني أن أهمس في أذنه بشيء ولم تذكر لي لماذا. أتفهّم حذرك ولكن هناك ورق وورق وأنا لست الرجل الذي يعطي أوراقاً مهمة لزوجته لاستعمالات المطبخ. بإيجاز، لم أفهم معنى رسالتك. وكيف ما كان الأمر، لماذا تقحمني في هذا الموضوع؟ فأنا لا أحشر أنفي فيما لا يعنيني. كان في إمكانك أن تغلق بابك في وجهه بنفسك. يجب أن نتفاهم بصفة نهائية حول هذا الموضوع. ليس لي أي وقت لتضييعه. بالإضافة إلى أنني في حيرة من أمري ولا أعرف ماذا علي أن أفعل إن كنت تهمل أحوالك. المسافة بيننا ليست طويلة، ولكنها مكلِفة. وزوجتي تشتكي وتريد معطفاً مُخملياً موافقاً لذوق العصر. أما فيما يخص يفغيني نيكولاييتش، فإنني أسارع إلى أن أقول لك: إنني، في الأمس، حصلت على معلومات عنه شافية، دون أن أضيع وقتي، أثناء زيارتي لبافيل سيميونيتش بيريبالكين. إن له خمسمئة نفس في مقاطعة ياروسلاف، وإنه يأمل أن يرث من جدته ثلاثمئة نفس أخرى في إقليم موسكو. أنا لا أعرف كم يملك من مال، ولكن أظن أنك في وضع أفضل مني لتعرفه. أرجوك بكل إلحاح أن تحدد لي موعداً لن تخلفه. التقيت البارحة إيفان أندرييتش، وقلت لي إنه ذكر لك أنني كنت مع زوجتي في مسرح ألكسندرينسكي. وأنا، أقول لك إنه يكذب، ويجب أن لا يوثق به في مثل هذه الأمور، بحيث إنه في وقت قريب، ومنذ يومين بالضبط، ابتز من جدته ثمانمئة روبل.

ثم إنني أتشرف بأن أظل. . . إلخ.

ملاحظة:

زوجتي حامل. وهي فضلاً عن ذلك هيابة وسوداوية أحياناً. ويحدث أن تطلق في العروض المسرحية أعيرة نارية مع قصف رعد مصطنع، لذلك لا أذهب بزوجتي إلى المسارح، حتى لا أرعبها. وأنا نفسي، لست هاوياً كبيراً للعروض المسرحية.

الرسالة الثالثة

(من بيوتر إيفانوفيتش إلى إيفان بيتروفيتش)

صديقي الغالي،
إيفان بيتروفيتش!

أعتذر! أعتذر! أعتذر ألف مرة. غير أني سأسارع إلى شرح ما بدر مني. البارحة، حوالي السادسة، كنا نخوض في سيرتك (بكل ودّ) حينما توصلنا ببرقية مستعجلة، من عمي ستيبان أليكسييتش، تخبرنا أن عمتي مريضة جداً. وخوفاً على زوجتي، ودون أن أخبرها بالحدث المؤلم، وبعد أن عللت خروجي لسبب آخر، توجهت عند عمتي فوجدتها تتنفس بصعوبة. حتى الساعة الخامسة، كانت عرضة لنوبة اختناق، الثالثة خلال عامين. أخبرنا طبيب العائلة أنها لن تصمد الى الليل. أترك لك الحكم على وضعي، يا صديقي العزيز. قضيت ليلتي واقفاً، مشدوهاً، يعصرني الأسى. بحلول الصباح، فقط، ومن فرط عياء كلي، مادياً ومعنوياً، نمت على كنبة، دون أن أفكر في تكليف أحد بإيقاظي باكراً، فلم أفتح عيني إلا في حدود الساعة

الحادية عشرة والنصف. تحسنت حالة عمتي فعدت الى زوجتي المسكينة! كانت قد يئست لتراني مجدداً! وبسرعة، تناولت لقمة، واحتضنت صغيري، وطمأنت زوجتي وذهبت عندك: لا أحد! إلا يفغيني نيكولايتش. عدت الى بيتي. تناولت ريشتي لأكتب إليك هذه الرسالة. لا تغضب مني، يا صديقي العزيز. اقتص من رأسي المقصر في حقك، لكن، لا تكنّ لي غلاً. أخبرتني زوجتك أنك ستكون الليلة في بيت سلافيانوف، سأكون هناك بكل تأكيد، سأنتظرك على أحر من الجمر. والآن، أظل لك... إلخ.

ملاحظة:

طفلنا يغرقنا في يأس حقيقي، في أسوأ حال، كتب له كارل فيدوريتش وصفة طبية. إنه يئن وطوال نهار أمس كان عاجزاً عن تذكرنا. اليوم، بدأ يستعيد ذاكرته، وهو لا يفتأ يردد: بابا، ماما، بو... قضت زوجتي صبيحتها دامعة العينين.

الرسالة الرابعة

(من إيفان بيتروفيتش الى بيوتر إيفانوفيتش)

سيدي بيوتر إيفانوفيتش!

أكتب لك من بيتك، وفي غرفتك، وعلى مكتبك. وقبل أن أتناول الريشة، انتظرتك أكثر من ساعتين ونصف. الآن، اسمح لي أن أقول لك، مباشرة، يا بيوتر إيفانوفيتش، رأيي الصريح في تعاملك غير اللائق. من خلال رسالتك، فهمت أنك تنتظرني عند ساليانوف. تدعوني لأذهب عنده، ألبي دعوتك، أبقى هناك خمس ساعات بأكملها، ولا أثر لك. قل لي هل أنا بهلوان؟ اسمح لي، يا سيدي. . . آتي عندك صبحاً، راجياً لقاءك دون أن أقلد بعض الأشخاص المخادعين، الذين يبحثون عن الناس أينما اتفق بينما يمكنهم، ببساطة، أن يسألوا عنهم في بيوتهم، في وقت محدد لائق. ولا أثر لك، في منزلك! لا أعرف ما الذي يمنعني من أن أظهرك على حقيقتك، ولكنني الآن أكتفي بالقول إنك، فيما يبدو، تؤخر بلورة بعض اتفاقاتنا، وبدراسة كل هذه القضية، لا يمكنني إلا أن ألاحظ أن تفكيرك ميلاً مذهلاً

إلى المكر. إنني أرى اليوم هذا بوضوح: لقد نسجت خيوط اللعبة بدهاء. لا أريد دليلاً على قولي إلا هذه الحالة: في الأسبوع الماضي، استعدت، وبطريقة غير لائقة تقريباً، رسالتك، الموجهة إلي، والتي صادقت فيها، ولو بصورة مبهمة جداً وغير لبقة، على اتفاقاتنا حول مسألة تعرفها جيداً. إنك خائف من الحجج لذلك تزيلها. ولكنني لا أسمح لك أن تعاملني كغبي.

لم يحن الوقت بعد لأعتبر نفسي هكذا، ولم يعتبرني أحد كذلك حتى الآن، ولكل الناس رأي جيد عني حول ذلك. عيناي مفتحتان. إنك تذر الرماد في عيوني، وتشوش ذهني وتلهيني بقصة يفغيني نيكولايتش، وحين أحاول، وبرسالتك في السابع من الشهر الجاري، غير المفهومة حتى الآن، وبطلب منك أيضاً أن ألتقي بك، تضرب لي مواعيد تخلفها ثم تتوارى عن الأنظار. ألا تظن، يا سيدي العزيز، أنني غير قادر على ملاحظة كل هذا؟ إنك تعدني بأن تكافئني على الخدمات المعروفة جداً لديك حول تزكية أشخاص مختلفين، وفي غضون ذلك، لا أدري كيف تقوم باقتراض المال مني دون وصل، وهي مبالغ مهمة، وذلك منذ الأسبوع الأخير على أبعد تقدير. والآن، لا وجود لك. ربما تراهن على سفري المرتقب إلى سيمبيرسك، وحتى ذلك الحين تظن أننا لن نتوصل إلى حلّ لضيق الوقت. ولكنني أخبرك بصرامة وبشرف أنني، إذا لزم الأمر، سأبقى في بطرسبورغ شهرين آخرين، ولكنني سأنال ما أريد، وسأصل إلى هدفي، وسوف أجدك. وسأنهي بقولي لك، إن لم تعطني ضمانة، أولاً

بكتابة رسالة تتضمن شروط تعاقداتنا، اليوم، ثم بعدها نلتقي، فتوضح لي ذلك وجهاً لوجه، وإذا لم تشرح لي نهائياً ما تفكر فيه بخصوص يفغيني نيكولايتش، فسأكون مضطراً لاتخاذ إجراءات قاسية لن تكون سارة لك، ولن أرضاها لنفسي.

واسمح لي أن أبقى... إلخ.

الرسالة الخامسة

(من بيوتر إيفانوفيتش إلى إيفان بيتروفيتش)

11 نوفمبر.

صديقي الأعز، المحترم، إيفان بيتروفيتش!

أحزنتني رسالتك كثيراً. ألم تستحِ، يا صديقي العزيز، بل يا صديقي الجائر، أن تتصرف هكذا بتسرع ودون شروح ودون خوف من أن تجرح كبريائي، أنا الإنسان الأكثر تفانياً في خدمتك؟ لكنني أسارع لأجيب على اتهاماتك. لم تجدني البارحة، يا إيفان بيتروفيتش، لأنني استدعيت على وجه السرعة عند عمتي، التي كانت تحتضر. عمتي إيفيميا نيكولاييفنا، ماتت البارحة في الساعة الحادية عشرة ليلاً. فأجمعت العائلة على اختياري لتنظيم مراسيم الدفن. كنت منشغلاً هذا الصباح إلى حدّ أني لم أجد الوقت الكافي لأراك أو حتى أكتب لك سطراً واحداً. أنا آسف على سوء الفهم الذي يحول بيننا. أما ما قلته عن يفغيني نيكولايتش، ماراً عليه مرور الكرام وأنا أمازحك،

فلقد أفرطت في تقدير أهميته. القضية كانت تافهة. أما عن الاقتراض والقلق من جرائه، فأنا على استعداد لألبي رغبتك الفظة على سبيل المثال فقط، لأن الثلاثمئة وخمسين روبلاً، تلك التي أخذتها منك، الأسبوع الماضي، لم تكن قرضاً، علي أن أذكرك بهذا. لو كان العكس، لكان لديك وبكل تأكيد وصل موقع من طرفي. إنني لن أستصغر نفسي لمناقشة ما تبقى من ملاحظات في رسالتك. كل هذا نتيجة انفعالك المعروف ويمكنني أن أقول لصراحتك الطبيعية. أنا أعلم أن طبيعتك المتفتحة لن تتزعزع وستكون أول من يبادر للسلام علي. لقد أخطأت، يا إيفان بيتروفيتش، لقد أخطأت خطأ جسيماً! ورغم أن رسالتك جرحتني، فأنا مستعد لأقدم لك اعتذاري. ولكنني منذ البارحة، وأنا، من فرط الهموم التي تراكمت علي، منهك القُوى ولا أقوى على الوقوف إلا بصعوبة. وما مرض زوجتي سوى همٌّ على غمٍّ. وأخاف أن يكون مرضها خطيراً. أما بالنسبة إلى ابني فهو، والحمد لله، بخير.

ولكن سأترك الريشة... إن مهاماً تنتظرني، وهي مهام كثيرة!

واسمح لي، يا صديقي الغالي جداً، أن أظل... إلخ.

الرسالة السادسة

(من إيفان بيتروفيتش إلى بيوتر إيفانوفيتش)

14 نوفمبر.

سيدي العزيز، بيوتر إيفانوفيتش!

صبرت ثلاثة أيام. حاولت استغلال هذا الوقت فيما يجدي. وما صبري عليك، منذ العاشر من هذا الشهر، إلا لأنني أعتبر أن الأدب واللطف من واجبات الإنسان المتحضر، وحتى أفسح لك المجال لتؤدّي واجبك المسيحي تجاه عمتك من جهة، ومن جهة ثانية لأني كنت منشغلاً ببعض التأملات والأبحاث حول قضية مستعجلة.

والآن، أتوجه اليك لنتفاهم بصفة نهائية. أعترف لك دون مواربة بأنني عند قراءة رسالتيك الأوليين، ظننت أنك لم تفهم قصدي. لذلك حاولت الاتصال بك حتى نتفاهم مباشرة. إن الريشة خادعة! لقد كان تعبيري مبهماً فأسأت فهمي. أنت تعرف أنني لا أجيد اللياقة واللباقة، وأتحاشى الأناقة الفارغة الجوفاء،

لأنني علمت أخيراً من تجربة مرّة كيف يكون المظهر خداعاً في بعض الأحيان، وأن الأفعى غالباً ما تختبئ تحت الورود. ولكنك فهمتني فعلاً، وإن لم تجبني كما كان ينبغي فهذا رياء منك، لأنك مسبقاً كنت عازماً على الإخلال بوعدك، ولو على حساب صداقتنا. لقد أبنت عن هذا بتصرفك غير اللائق تجاهي، وهو تصرف يضر بمصلحتي ولم أكن أتوقعه منك قط. ولم أرد أن أصدق هذا إلا اليوم، لأني كنت معجباً في بداية تعارفنا بأسلوبك الذكي الأنيق وخطابك الرفيع الرشيق وخبرتك بالأعمال والمصالح. كنت أظن أنني وجدت فيك صديقاً حقيقياً ورفيقاً ودوداً، ولكنني أرى أن كثيراً من الناس يخفون وراء المظاهر البراقة والمنافقة ملامح طافحة غلاً وسماً: إنهم يستعملون كل دهائهم ليمكروا بغيرهم قدر المستطاع، وهم يخشون الريشة والورق، وبعيداً كل البُعد من البحث عن مصلحة الوطن ومنفعة أمثالهم من الناس، فإنهم لا يعملون إلا للتدليس على المتعاقدين معهم. إن نيتك السيئة، يا سيدي، بادية بوضوح من وقائع عدة. أولاً، بينما أنا أوضح لك، يا سيدي، موقفي بعبارات دقيقة، وأطلب منك معنى لتلميحاتك فيما يخص يفغيني نيكولاييتش، تفضّل أنت الصمت وتغيظني بشكوكك اللاذعة وتتهرب من كل شرح صريح. وبعد هذه المعاملة التي لا توصف تكتب لي أن كل هذا يحزنك. وأخيراً، وحينما كان الوقت بالنسبة إلي غالياً جداً، لم يكفك أن أبحث عنك في كل مكان بالعاصمة بل تكتب لي، تحت ستار الصداقة، رسائل تتجاهل فيها، عن قصد، ما بيننا من معاملة، وتثرثر حول مواضيع شتّى

لتلهيني، فتحدثني عن مرض زوجتك المحترمة، عن الأدوية التي يوصي بها الطبيب لابنك الذي يعاني من خروج أسنانه الأولى، وتعود إلى هذه الجزئيات بدأب ووقاحة. إنني أتفهم أن آلام طفل تؤلم روح أبيه. ولكن ما الفائدة من الحديث عنها، في حين أن أموراً أهم وأجدى، كان عليك كتابتها إلي؟ فلزمتُ الصمت وتحليتُ بالصبر. ولكن الآن، ومع فوات الأوان، فمن الواجب علي أن أوضح الأمر. وأخيراً، وبما أنك قد تلاعبت بي وأنت تضرب لي، مرات عدة، مواعيد وهمية أرغمتني على أن أكون لك لعبة وبهلواناً. وهذا ما لم أكن مستعداً له، أرجوك أن تفهم هذا. إنك تضرب لي موعداً تلو موعد ثم تخلف المواعيد جميعاً، مستغلاً نوبة إغماء عمتك، التي جاءت في وقتها، فلم تتورع عن استغلالها ذريعة. ولكنني علمت خلال الأيام الثلاثة هاته، أن نوبة عمتك كانت مساء اليوم السابع، قبل منتصف الليل بقليل. لم تخف، إذن، من تدنيس العلاقات العائلية المقدسة فقط للتلاعب بغريب! وأخيراً، ماتت عمتك أربعاً وعشرين ساعة بعد التاريخ الذي حددته لي بكل تبجح. وفي وسعي إذا شئت أن أحكي عن جميع ألاعيبك. وتناديني بصديقك المخلص! هذا لهدف واضح، بالنسبة إلي، وهو إلهائي.

أصل الآن إلى لعبتك الأهم، لهذا الصمت المتعنت عن مصالحنا المشتركة، إلى السرقة الشنيعة للرسالة التي شرحت فيها اتفاقنا، بطريقة فضفاضة، حول ذلك الاقتراض القسري لثلاثمئة وخمسين روبلاً دون وصل، وافترائك أيضاً على صديقنا

المشترك يفغيني نيكولايتش. إنني أرى بوضوح أنك تريد أن توحي إلي أنه، إذا سمح لي بالقول، كالتيس لا تأخذ منه حليباً ولا وبراً، وأنه لا هو هذا ولا هو ذاك، حائر دائماً ومتردد باستمرار، وهذا ما عبته عليه في رسالتك المكتوبة يوم السادس من الشهر الجاري. أما بالنسبة إلي، فإنني أعرف يفغيني نيكولايتش وأعتبره شاباً متواضعاً جداً وذا خلق ممتاز وجديراً بالاحترام التام. أعرف أنك، كل ليلة، ولمدة خمسة عشر يوماً، وأنت تلعب الورق مع يفغيني نيكولايتش، وتربح عشرات الروبلات، وأحياناً مئات الروبلات. اليوم تنفي كل هذا. ولم يكفك ما قاسيته بسببك بل تستحوذ على مالي وتعدني بأعذب الوعود باقتسام الأرباح، ثم بعد ذلك تعفي نفسك من شكري دون تأنيب الضمير لعدم إخلاصك، مستعملاً الكذب لتدنيس رجل أدخلته إلى بيتك. بيد أنك، أنت نفسك، كما قيل لي، تكاد تقضي وقتك كله في ملاطفته وتقديمه للناس جميعاً كأول صديق لك، رغم أنهم كلهم يعرفون نياتك الحقيقية وماذا تعني الصداقة والعلاقات الرفاقية عندك. وأنا أقول لك إنها تعني لديك الخداع والغدر ونسيان اللياقة وحقوق الإنسان والإثم وعيوباً أخرى. وأتخذ من نفسي مثالاً ودليلاً، بأي شيء أسأت إليك حتى تعاملني بطريقة مدنسة؟

وأنهي كلامي، لأنني أظن أن شروحي كافية. وأختم بقولي إنه، وفي القريب العاجل، حال توصلك بهذه الرسالة، إن لم تعد إلي الثلاثمئة والخمسين روبلاً والمبالغ الأخرى المستحقة لي منها بحسب وعدك، فإنني سألجأ الى كل الوسائل الممكنة

التي ترضيني، ولو تطلَّب مني ذلك استعمال القوة. وأصرح لك أن في حوزتي بعض الوثائق التي هي بين يدي خادمك المتواضع، يمكنها أن تُسيء إليك وتلطخ اسمك إلى الأبد.

واسمحوا لي أن أبقى. . . إلخ.

الرسالة السابعة

(من بيوتر إيفانوفيتش الى إيفان بيتروفيتش)

15 نوفمبر.

إيفان بيتروفيتش،

حالما توصلت برسالتك المنحطة (رسالة موجيك[2]) فكرت في تمزيقها إرباً إرباً. ولكنني سأحتفظ بها لمحض الفضول. علماً أنني أتأسف صادقاً عن سوء التفاهم الذي طفا بيننا. لم أرد حتى الرد عليك ولكن الحاجة ألحت علي بذلك. يجب أن أعترف لك بأنه يحز في نفسي أن أراك في بيتي. زوجتي تشاطرني نفس هذا الشعور: إن صحتها ضعيفة ورائحة القطران تضني شرايينها. إنها بعثت، وبكل امتنان، إلى زوجتك الكتب التي استعارتها منها: **دون كيشوت دي لامنشا**. أما بالنسبة إلى حذائيك المطاطيين، فيؤسفني أن أقول لك إنني لم أعثر عليهما بالبيت كله. سنستمر في البحث عنهما، وإذا تعذر إيجادهما سوف أقتني لك بدلاً منهما زوجين.

وعلى كل حال، يشرفني أن أبقى... إلخ.

الرسالة الثامنة

(في 16 من نوفمبر سيتوصل بيوتر إيفانوفيتش، من طريق البريد الحضري، برسالتين. وعند فتح الظرف الأول، سيسحب منه بطاقة صغيرة، مطوية بمهارة، ذات ورق وردي باهت. كانت مكتوبة بخط زوجته، والخطاب موجه الى يفغيني نيكولايتش بتاريخ 2 نوفمبر. لم يكن الظرف يحوي شيئاً آخر، يقرأ بيوتر إيفانوفيتش:

عزيزي يوجين[3]! لم أتمكن البارحة. لم يبارح زوجي البيت طوال الليل. تعال غداً في الساعة الحادية عشرة بالضبط.
سيذهب زوجي إلى تسارسكويي، في الساعة العاشرة والنصف ولن يعود إلا في منتصف الليل. لقد كنت مغتاظة طوال الليل. نشكرك على الأخبار والمراسلة. ما هذه الكتلة من الأوراق! أهي التي كتبت كل ذلك حقاً؟ وعلى كل حال، فالأسلوب لا يخلو من جمالية. شكراً، إنني أرى أنك تحبني. لا تغضب مني بشأن أمس وتعال غداً، ناشدتك الله!

أ.

(بيوتر إيفانوفيتش يفتح الظرف الثاني)

بيوتر إيفانوفيتش!

لن تطأ قدمي عتبة منزلك قط. أتعبت نفسك بتلطيخ أوراق كثيرة دون جدوى.

سأسافر في الأسبوع المقبل الى سيمبيرسك. سيبقى لك، يا أغلى صديق وأعز رفيق، يفغيني نيكولايتش. أتمنى لكم حظاً سعيداً! أما بالنسبة إلى الحذائين المطاطيين فلا تحمل همها.

الرسالة التاسعة

في 17 من نوفمبر، سيتلقى إيفان بيتروفيتش من طريق البريد الحضري رسالتين باسمه. وهو يفتح الظرف الأول سيجد رسالة مكتوبة على عجل ومن دون عناية، وهي بخط زوجته وموجهة الى يفغيني نيكولايتش، وتحمل تاريخ 4 أغسطس. لم يكن الظرف يحوي شيئاً آخر، يقرأ إيفان بيتروفيتش:

وداعاً، وداعاً، يفغيني نيكولايتش! الله يجازيك أيضاً على ذلك. كن سعيداً! أما أنا فقدري فظيع. إنني خائفة! أنت على حقّ. لولا خالتي، لكنت كلياً لك. لا تتهكم علي إذن ولا على خالتي. سأتزوج غداً. خالتي جد سعيدة لأنها صادفت شاباً طيباً يقبل بي زوجة حتى دون أن يكون لي مهر. كان في إمكاني اليوم ولأول مرة أن أمعن النظر فيه. لقد بدا لي طيباً جداً. إنهم يستعجلونني. وداعاً! وداعاً يا حبيبي! تذكرني أنا التي لن أنساك أبداً. سأوقع هذه الأخيرة كما وقعت الأولى. . . أتذكر؟

تاتيانا[4]

كان الظرف الثاني يحتوي على ما يلي:

إيفان بيتروفيتش!

غداً ستتوصل بحذائين مطاطيين جديدين.
ليس من عادتي أن آخذ شيئاً من جيوب الآخرين. ولا أحب كذلك أن ألتقط الفضلات الملقاة في الشارع. سوف يسافر يفغيني نيكولايتش، خلال هذه الأيام، إلى سيمبيرسك حيث تنتظره مهام من جده. ولقد رجاني أن أجد له مرافقاً: ألا تريد أن تكون له رفيق الطريق؟

الهوامش

(1) التعاسة من العقل: أو «ذو العقل يشقى» - مسرحية.

(2) موجيك: فلّاح بالروسية.

(3) يوجين: بالفرنسية كتابةً في الأصل.

(4) تاتيانا: إشارة ساخرة إلى رسالة تاتيانا المكتوبة إلى يفغيني أونيغين في الرواية الشعرية لبوشكين.

المحتويات

زوجة رجل آخر
وزوج تحت السرير

رواية في تسع رسائل

إيفان أندرييفيتش مقتنع أن زوجته تخونه، فهو مستعد لأي شيء ليباغتها: يتعقّبها ويراقبها طوال ساعات، يتجسّس عليها ويفتح بريدها بحثاً عن دليل، يختبئ ويجعل من نفسه أضحوكة...

على الرغم من طرافتها، تعتبر **قصة زوجة رجل آخر وزوج تحت السرير** مرحلة مهمة في مسيرة دوستويفسكي، لأنها تكشف عن روح الدعابة الخاصة لديه، والمبثوثة في كل أعماله حتى الأكثر مأساوية منها.

تليها **رواية في تسع رسائل**، وهي تحفة من أدب التراسل، حيث أن صديقين، بيوتر إيفانوفيتش وإيفان بيتروفيتش، يتبادلان رسائل ترسم لنا شيئاً فشيئاً طبيعة العلاقة التي تربطهما. يبدأ الصديقان مراسلتهما بلهجة مهذّبة ودودة، تفتر تدريجياً لتنتهي بتصرفات وتصريحات دنيئة واتهامات متبادلة بالخيانة الزوجية.

كتب دوستويفسكي هاتين القصتين في فترة شبابه، قبل اعتقاله وإرساله إلى سجن الأشغال الشاقة في سيبيريا عام 1849، وهما دون شك تمهدان الطريق للعمل المستقبلي الرائع لهذا الروائي العظيم والخبير الذي لا يُضاهى بالنفس البشرية.

ترجمة: إدريس الملياني



الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com